ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1019 - الجمعة 7 ربيع الأول 1424 هـ - الموافق 9 ماي 2003

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

فضل آية الكرسي

تهنئة رابطة علماء المغرب بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف

بحلول طلعة عيد مولد سيد البشرية سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم، يسعد الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة أصالة عن نفسه ونيابة عن علماء المملكة المغربية وكتاب جريدة "ميثاق الرابطة" ومجلة. الاحياء. وموظفي مقر الأمانة أن يتقدم الى حضرة أمير المؤمنين وسبط الرسول الأمين ، جلالة الملك محمد السادس. نصره الله. بأسمى آيات التهاني والتبريك وصالح الدعاء لجلالته بموفور الصحة والعافية قرير العين بشقيقه السعيد المولى الرشيد ، وسائر أفراد الأسرة الملكيةالشريفة ، وأن يكون عهده عهد ازدهار وفلاح، وأمن وأمان وصلاح مؤيدا بالإسلام وناصرا له.

كما يتقدم بخالص التهاني الى الشعب المغربي والأمة الاسلامية راجيا من الله سبحانه أن يؤلف بين شعوبها ، ويوفق ملوكها ورؤسائها إلى ما فيه عزتها وقوتها، إنه سميع مجيب.

مولد محمد صلى الله عليه وسلم

إن بروز شمس خير البشرية على الإنسانية بمناسبة مولده رحمة مهداة من الله لعباده لنشر الهداية وإصلاح النفس وتقويم السلوك وغرس المعتقد الصحيح في النفوس.

فبمولده عليه الصلاة والسلام حل الفرج وانزاحت الشدة وانتصر الحق على الباطل قبل مبعثه بالرسالة الصادقة الصحيحة كانت المرأة مسلوبة الحقوق مهضومة القيمة كاد أنها متاع تباع وتشترى فأنزلها عليه الصلاة والسلام المكانة المشرفة وحفظ لها التشريع الإسلامي أسمى مقام وأرفع احترام وأوجب بروز الوالدين وفرض تربية الأبناء التربية الصحيحة السليمة وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر وحث على العمل وبين قيمة الزمن ونبه على عدم إضاعته وأمر بوحدة الصف وحرم الظلم بين الناس وألح على مساعدة الضعيف ومواساة المحتاج فمولده رحمة وخير ... نهى عن العصبية وحذر من العنصرية وجعل أكرم الناس أتقاهم وأحسنهم سلوكا وأنفعهم لخلقه.

فلما سأله أصحابه عليه الصلاة والسلام أن يخبرهم عن نفسه قال لهم : (دعوة إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بياض، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجا، فأضجعاني، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا منه علقة سوداء، فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذاك الثلج، حتى إذا أنقياه، رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بعشرة، فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بألف، فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم).

إنه خاتم الأنبياء وهادي الخلق لما فيه صلاحهم في داري الدنيا والآخرة، يدعو عليه الصلاة والسلام البشرية للإيمان الصحيح والعمل البناء، فلقد أقسم الله في الكتاب المنزل عليه أن الناس في خسر إلا من آمن منهم وعمل صالحا، قال تبارك وتعالى: (*والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر*).

فهو عليه الصلاة والسلام عصمه ربه وطهر نسبه واجتباه عن خلقه بما فضله به على سائر الأنبياء والمرسلين، فعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي). رواه الطبراني في الأوسط، فلقد خصه المولى بجزيل عطائه، وميزه بعلو مكانته، وأصلح به النفوس، وصان به الأعراض، وجنب به السوء، ومن آمن بما جاء به فقد سلك السبيل المستقيم الذي يوصله إلى دار النعيم فهو صلى الله عليه وسلم خير خلق الله، وأمته خير الأمم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قسم الخلقَ قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله: "*أصحاب اليمين*" "*وأصحاب الشمال*" فأنا من أصحاب اليمين، وأنا من خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فذلك قوله: "*أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون*"، فأنا من خير السابقين ثم جعل البيوت قبائل فجعلني من خيرها قبيلة فذلك قوله: "*شعوبا وقبائل*" فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله عز وجل ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله: "*انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا*"). رواه الطبراني. فهذا ثناء ومدح من الله عز وجل عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الذين خصهم الله بوافر نعمائه ووفير آلائه.

إن هذا النبي الأمي بنى حضارة وأصلح أمة وقوم سلوكا ومعتقدا وهذب أخلاقا ونشر عدالة اجتماعية ومحى معتقدات بالية أضلت الناس ردحا من الزمن فكان مبعثه نقذا للإنسانية التي هداها الله به مما كانت تتخبط فيه من ميوعات قاتلة ومعتقدات بالية جعلت تلك المجتمعات تنغمس في أبحر الرذيلة ... (تابع الصفحة 2)

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

العدالة في التوجيه القرءاني

يقول الله تعالى في سورة المائدة الآية:3 (*ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى*).

ويقول في سورة الأنعام: "*وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى*" الآية:52.

العدالة في التصرف هي الاستقامة، والبعد عن الهوى والمساواة بين الناس في اعطاء الحقوق.

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة العدالة لفظ يقتضي ذكر المساواة، ولايستعمل إلا باعتبار الإضافة، وهي في التعارف إذا اعتبرت بالقوة هيئة في الإنسان يطلب بها المساواة، وإذا اعتبرت بالفعل فهي القسط القائم على الاستواء، وهي الفضائل كلها أو هي أجمل الفضائل وهي ميزان الله المبرأ من كل زلة، وبها يستتب أمر العالم ، فإذا وصف الله تعالى بالعدل فيراد بذلك أن أفعاله واقعة على نهاية الانتظام ، والعدل بمعنى القسط والمساواة هو الغاية التي يهدف إليها كل نظام والهدف الذي يسعى إليه كل مجتمع منذ أن خلق الله الإنسان، وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا ابتداء من سورة البقرة في قوله تعالى : (*ولايؤخذ منها عدل*) الآية:48 وانتهاء بسورة الانفطار في قوله تعالى : (*الذي خلقك فسواك فعدلك*) الآية:7.

وجاءت بصيغة الأمر في سورتي المائدة والانعام : *اعدلوا هو أقرب للتقوى* "*وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى*".

والعدل بين الناس بمعنى المساواة لايمكن قيام مجتمع منظم بدونه، ولهذا جعله الله أقرب طريق إلى التقوى التي هي الغاية من سلوك الإنسان في المجتمع.

ولهذا يقال العدل أساس الملك، أي أنه لايمكن أن تستقيم الحياة لأي مجتمع كيف ما كان شكل نظامه إلا بتوفر وضعية العدل بين الناس. إن نشر ثقافة العدل بين المواطنين ودخولها في حياتهم وسلوكهم من شأنها أن تغلب الإيجابيات في حياتهم، وتبعد عنهم السلبيات بكل أشكالها، وتقرب بينهم.

والعدل كما يظهر في الأفعال يظهر في الأقوال، وقد أشارت الآيتان القرءانيتان إلى ذلك صراحة "*اعدلوا هو أقرب للتقوى*".

"*وإذا قلتم فاعدلوا*" فالعدل عندما يعتقد ويطبق عمليا في التعامل البشري في مختلف شؤون الحياة، ثم ينشر قولا عندما يكون الأمر مطلوبا فيه التوجيه القولي، وإذا قلتم فاعدلوا.

وبتنفيذ العدل في الحياة العامة قولا وعملا يُفتح الطريق للمجتمع ليعيش في اطمئنان واستقرار نفسي وفكري.

ونشر ثقافة العدل بين المواطنين وتركيز المفهوم الصحيح للعدل في المساجد والمدارس والجامعات والمؤسسات العامة والخاصة يفتح الطريق بيسر لكل القائمين على الشؤون العامة ليؤدوا واجبهم في الحياة دون صعوبة أو عراقيل أو مقاومة من أي كان، لأن طعم العدل عندما يذوقه الإنسان ويتلذذ به ويرتاح له يجعله مطمئنا على ماله وعلى أملاكه وعلى حقوقه العامة والخاصة، لأن العدل أقرب للتقوى، وكل شيء يوصل الإنسان إلى الإيمان بالله والرجوع إليه، والاعتماد عليه، والاعتقاد بأنه الفاعل لكل شيء، يرسخ في نفسه الاطمئنان والثقة بالله، نقول عندما تنتشر ثقافة العدل ويباشرها ويزاولها الإنسان في صباحه ومسائه، في إدارته ومعمله، رئيسا كان أو مرؤوسا، بائعا أو مشتريا، عاملا أو تاجرا أو صانعا، عندما نفهم العدل ونطبقه قولا وعملا ويمتزج بالسلوك البشري فإننا سنكون فتحنا الطريق أمام نوع من سعادة الحياة. ونفهم معنى قوله تعالى في سورة آل عمران "ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب" وفي قوله تعالى في سورة إبراهيم "ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيء لنا في أمرنا رشدا صدق الله العظيم، وإلى حديث آخر إن شاء الله.

م.ز.

وجوه مخاطبات القرآن الكريم

■ إعداد الاستاذ: مصطفى أصبان الحسني

■ يقول ابن الجوزي في مؤلف النفيس، الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها، وأوصلها غيره إلى أكثر من ثلاثين وجها، فلنبدأ بأولاها، وهي خطاب العام أو العموم، كقوله تعالى : "الله الذي خلقكم" وثانيها يعني خطاب الخاص مثل قوله تعالى : "أكفرتم بعد إيمانكم، ياأيها الرسول بلغ، ثالثها خطاب العام والمراد به الخصوص مثل قوله تعالى : "ياأيها الناس اتقوا ربكم" فلم يُدخل فيه الأطفال والمجانين، رابعها خطاب الخاص الذي يراد به العموم مثل قوله تعالى: "يأيها النبي إذا طلقتم النساء" افتتح الخطاب بلفظ النبي (ﷺ) لكن المراد به كل من يملك الطلاق وقوله تعالى: "يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك"الأية، قال أبو بكر الصيرفي كان ابتداء الخطاب له(ﷺ)، فلما قال في الموهوبة خالصة لك علم أن ماقبلها له ولغيره خامسها خطاب الجنس مثل قوله تعالى : "يأيها النبي"سادسها خطاب النوع مثل "يابني إسرائيل" سابعها خطاب العين مثل قوله تعالى : "ياآدم اسكن ، يانوح اهبط، ياابراهيم قد صدقت ياموسى لاتخف، ياعيسى إني متوفيك، ولم يقع في القرآن الخطاب بيامحمد بل ياأيها النبي، ياأيها الرسول، كل ذلك تعظيما لمكانة المصطفى (ﷺ) وتشريفا وتخصيصا له. زيادة على هذا، أن الله سبحانه يعلم المؤمنين كيف ينادون على شفيعهم وأن يتجنبوا المناداة باسمه، ثامنها خطاب المدح مثل قوله تعالى : "يأيها الذين آمنوا، ولذلك نجد الخطاب لأهل المدينة: الذين آمنوا وهاجروا، أخرج ابن أبي حاتم عن خيثمة قال ماتقراون في القرآن يأيها الذين آمنوا، فإنه في التوراة يأيها المساكين وأخرج البيهقي وأبو عبيدة وغيرهما عن ابن مسعود قال إذا سمعت الله يقول أيها الذين آمنوا فأوعها سمعك، فإنه خير يؤمر أو شر ينهى عنه ، تاسعها خطاب الذم مثل يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم، قل يأيها الكافرون" ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين، حيث كثر الخطاب بيأيها الذين آمنوا على المواجهة وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضا عنهم كقوله تعالى : "إن الذين كفروا، قل للذين كفروا" عاشرها خطاب الكرامة مثل قوله تعالى: "يأيها النبي، يأيها الرسول" قال بعض العلماء نجد الخطاب بالنبي في محل لايليق به الرسول وكذا عكسه في الأمر بالتشريع العام" يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك" وفي مقام خاص:"يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" قال وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام لكن مع قرينة إرادة العموم كقوله يأيها النبي إذا طلقتم" ولم يقل طلقت.

الحادي عشر خطاب الإهانة نحو فإنك رجيم، اخسئوا فيها ولاتكلمون، الثاني عشر خطاب التهكم مثل ذق إنك أنت العزيز الكريم الثالث عشر خطاب الجمع بلفظ الواحد مثل : "يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم" الرابع عشر خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو يأيها الرسل كلوا من الطيبات إلى قوله فذرهم في غمرتهم فهو إذن خطاب له (ﷺ) وحده إذ لانبي معه ولابعده وكذلك في قوله تعالى : "وإن عاقبتم فعاقبوا" خطاب له (ﷺ) وحده بدليل قوله:" واصبرو وماصبرك إلا بالله" وكذلك في قوله: "فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا بدليل قوله: "قل فأتوا وجعل منه بعضهم قال رب ارجعون أي ارجعني.

الخامس عشر خطاب الواحد بلفظ الاثنين مثل القيا في جهنم والخطاب لمالك خازن النار وقيل لخزنة النار. السادس عشر خطاب الاثنين بلفظ الواحد مثل قوله: "فمن ربكما ياموسى أي وياهارون" السابع عشر خطاب الاثنين بلفظ الجمع مثل: "أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة. الثامن عشر خطاب الجمع بلفظ الاثنين مثل ألقيا كما تقدم آنفا، فائدة جليلة نستخلصها، يقول ابن القيم تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله وله الحمد كله أزمة الأمور كلها بيده ومصدرها منه وموردها إليه مستويا على العرش لاتخفى عليه خافية هو الحق يسمع ويرى ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب ويكرم ويهين ويخلق ويرزق، وإذا شهدت القلوب من القرآن ملكا عظيما جوادا رحيما جميلا هذا شأنه، فكيف لاتحبه وتنافس في القرب منه وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ماسواه، وإذا فقدت القلوب كل ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها.

تتمة

فكانت رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام دواء ناجعا لما أصاب الإنسانية في سلوكها ومعتقداتها كما كانت نقذا للأمم التي صدقت به وطبقت ما جاء في رسالته.... ولولا اعتماده على الله وتوكله وصبره وقوة إيمانه ويقينه من انتصاره على أعداء الدين وما أيده الله به صلى الله عليه وسلم مما حير العقول لظل كثير من خلق الله في زيغ وضلال، ومن فضل الله على خلقه أن نصر به المسلمين وهزم به أعداء الله الكافرين، قال الكاتب الانجليزي (توماس كارليل) : (فإن مما لا ريب فيه أن محمدا أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الاسلام ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك لا نرى حدا لفصل محمد) وقال الدكتور جوستاف لبون في كتابه حضارة العرب: (إن أصول الأخلاق في القرآن عالية) فكم من أقلام أصحابها منصفة ولا يمتون إلى الإسلام بعقيدة أثنوا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رسالته الخالدة، وذلك أضعف الإيمان، فرسالته (ص) تنشر السلم والمحبة بين أبناء بني الإنسانية تأمر باليسر وعدم العسر وتهدي دوما وأبدا إلى الرشد فكلما أطل مولده (ص) إلا وذكر بمجموعة من القيم المثلى إن أخذ بها الناس تآلفوا وتقدموا وتآخوا وتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

فلقد خلقه الله معصوما محببا على القلوب "بالمومنين رؤوف رحيم" فأوصافه تجذب الناس إليه خلقا وخلقا فكان عليه الصلاة والسلام (أبيض مليحا مقصدا).

وعن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحسن الناس وجها وأحسنه خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير كان مربوعا بعيد ما بين المنكبين له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه).

فكان عليه الصلاة والسلام حسن الخلق والخلق مدحه الله بقوله: "وإنك لعلى خلق عظيم".

وماذا به نثني عليه وإنما×× نعوت الثنا من وصفه نستفيدها

عن عائشة (ض) قالت: (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين) وفي رواية: (أنه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة)، وفي رواية أخرى: أنزل عليه وهو ابن أربعين فمكث ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس قال: (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأبو بكر: وهو ابن ثلاث وستين سنة، وعمر: وهو ابن ثلاث وستين سنة) رواه مسلم.

فلقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، فترك لنا محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فاللهم اهدنا فيمن هديت، واسلك بمخلوقاتك سبيل التوفيق والرشاد، إنك سميع مجيب.

بقلم النائب الأول للأمين العام
لرابطة علماء المغرب
الشيخ ماء العينين لارياس

الجهاد في الإسلام

■ إعداد الأستاذ: احمد تشيكرت

■ الجهاد في سبيل الله من أعظم العبادات وأجل الطاعات وأسمى القربات. قال (ﷺ) مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بأيات الله تعالى لايفتر من صلاة ولاصيام حتى يرجع ونظرا لمزايا الجهاد وفضائله الكبيرة على الفرد والمجتمع والأمة بصفة عامة. ومهما قيل في شأنه فلا يمكن الاحاطة به الاحاطة التامة ومع ذلك فإننا نحصر الكلام عليه كالآتي:

أولا: تعريف الجهاد.
ثانيا: بيان مراتبه.
ثالثا: آدابه.

أولا: تعريف الجهاد: الجهاد مصدر جاهد يجاهد جهادا ومجاهدة، بمعنى بذل وسعه، وهو مأخوذ من الجهد بفتح الجيم بمعنى المشقة أو بمعنى الطاقة والاستطاعة، قال الله تعالى: "وأقسموا بالله جهد إيمانهم" سورة النور/الأية:53.

وفي الاصطلاح عرفه ابن عرفة بقوله :قتال مسلم كافر غير ذي عهد لاعلاء كلمة الله.

ثانيا: مراتبه
مراتب الجهاد هي:
أ. جهاد النفس.
ب. جهاد أهل الفسوق والعصيان.
ج. جهاد الكفار.

أ. جهاد النفس: النفس من ألد أعداء الإنسان قال الله تعالى : "إن النفس لأمارة بالسوء"سورة يوسف/الأية:53، لهذا يقول الرسول (ﷺ) رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر قال: جهاد النفس.

ولهذا كان لابد للإنسان إذا أراد أن يتغلب على عدوه أن يتغلب أولا على نفسه وهواه. حتى إذا مادعا داع إلى الجهاد كان بطلا في وجه أعدائه ويقتضي جهاد النفس كبح جماحها والسيطرة عليها حتى لايحدث ما أشار إليه الرسول (ﷺ) في قوله: ماظهر الغلول في قوم إلا ألقي في قلوبهم الرعب ولافشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم الموت. ولانقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق. ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم. ولا ختر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم. رواه أبو داود، وقوله (ﷺ) يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن. قال قائل يارسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت، رواه أبو داود والبيهقي.

ب. جهاد أهل الفسوق والعصيان:

يكون هذا النوع من الجهاد بالدعوة إلى الله وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالنصح والإرشاد لأئمة المسلمين وعامتهم ومع الصبر على الابتلاء، وهو على ثلاثة أقسام:

باليد . وباللسان . وبالقلب . ففي الحديث : "من رأى منك منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" ونظرا لخطورة تركه فقد قال الرسول (ﷺ) في شأنه:والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم، رواه الترمذي.

ج. جهاد الكفار أعداء الله الذين يستذلون المسلمين ويسلبون حريتهم وأرضهم قال تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين"سورة البقرة/الأية:190.

والجهاد شريعة ماضية إلى يوم القيامة، لأن النزاع قائم مستمر بين الخير والشر، مادامت هناك عداوة قائمة ومستحكمة بين بني آدم وخلفاء الشيطان، والإسلام أقر حق الجهاد للدفاع عن النفس والأرض والمال والعرض وأضاف إلى ذلك غاية مثلى وهي القتال في سبيل الله لاعلاء كلمة الله دفاعا عن العقيدة وعن شريعة الإسلام ضد كل من يعترض في سبيل تبليغها من طواغيث الأرض، وقد شرع الجهاد في السنة الأولى من الهجرة عندما اشتدت إذاية المشركين للإسلام والمسلمين فتآمروا على قتل الرسول (ﷺ) ومن معه ومحو الإسلام وإطفاء نور الله في الأرض وحالوا بين المسلمين والدعوة إلى الدين فأمر الله عبادة المسلمين بالجهاد دفاعا عن أنفسهم وحماية للدعوة الإسلامية من كيد المعاندين وعبث العابثين فقال تعالى: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله" ثم أمرهم بالجهاد في قوله: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم، واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه. وإن قاتلوكم فأقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم. وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين"سورة البقرة/الأية:193.192.191.190.

وحث الله تعالى المومنين على الجهاد في سبيله ووعدهم على ذلك أعظم الأجر وأعلى الدرجات فقال تعالى : "إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم"سورة التوبة:/الأية:111 ويدخل في الجهاد المرابطة، وهي حالة التأهب للقتال والاعداد له كتأمين السلاح والذخيرة والعتاد والتموين والتدريب ومراقبة العدو ورصد تحركاته وتنقل الوحدات. وقد ورد في فضل المرابطة قول الرسول (ﷺ):" كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يُنمَّى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن فتنة القبر" رواه أبو داود، وعن ابن عباس سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله".

وإذا كان الجهاد يحتاج إلى المجاهدين بأنفسهم فإنه كذلك يحتاج إلى المجاهدين بأموالهم، من أجل ذلك كانت دعوة القرآن إلى الإنفاق في سبيل الله لتجهيز الغزاة ورعاية أسرهم وقرر القرآن الكريم أن عدم الانفاق تهلكة، فعن أبي أيوب الانصاري (رضي الله عنه) قال:لما نزل قوله تعالى : "وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"قال: إنما نزلت هذه الأية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه (ﷺ) وأظهر الإسلام قلنا هل نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله هذه الأية، والمراد بالتهلكة في الأية السالفة الذكر، هو الاشتغال بالأموال وترك الجهاد.

وكثيرا ماذكر الله الجهاد بالمال في القرآن مقترنا بالجهاد بالنفس بل مقدما عليه: "إنما المومنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون" سورة الحجرات/الأية:15.

وقال:" (ﷺ) جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"

والجهاد بالمال يكون ببذله عن طيب نفس دعما للجيش واعدادا للمعركة وتجهيزا للمجاهدين. "من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا"رواه البخاري ومسلم. يتبع

الوثاق

الفيض القدسي في فضل آية الكرسي

للعلامة سيدي محمد البكري الصديقي

■ الأستاذ : إدريس كرم

الحمد لله الذي أنزل على أعظم الرسل أعظم الكتب المشتمل على أعظم الآيات، وأطلع أقمار الفضائل في سماء الفواضل من أشرف الهلالات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وهو لاشريك له الحي القيوم، رب المحيا والممات، القدوس فلا تعتوره الغفلات، ولاتأخذه السنات، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الرافل في حلل الاصطفاء الإلاهي على جميع المخلوقات، المبعوث لاشرف الأمم باشرف الخصال وأكمل الصفات.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ما انهلت ريح الرحمات، وانهلت موارد البركات آمين.

وبعد: فإن الله تعالى لما رتب الزمان على أدوار وأطوار، وملأه باقضية وأقدار، وألزم عباده العجز عن اتقاء أمره، وارشدهم لما أودعه في مطاوي كلماته وكلمات رسوله من أسباب التحصين بذكره، أحببت أن أجمع في ذلك سفرا وسيطا مختصرا، مشتملا على فضل الدعاء ورفعه شانه، والإسم الأعظم وبيانه، فهذا مؤلف جمعت فيه أحاديث اقتنيتها، وآثار اصطفيتها مشتملة على القول الفعل، الشاهد لآيات الكرسي بالفضل لقبته (بالفيض القدسي في فضل آيات الكرسي)، اذكر فيه الحديث وأبين غريبه ومن رواه، مجانبا من الأحاديث كل ذي سندوَاه، فلا أذكر إلا كل صحيح من نقدوَرَد، وما يعمل به لطلب الفضل من نقل ورد، والله الكفيل بالنفع به آمين.

عن أبي بن كعب (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) سأله أي آية في كتاب الله أعظم، قال آية الكرسي، الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش، رواه الامام أحمد واللفظ له ومسلم وأبو داوود وابن الضرسين والحاكم والهروي في فضائله، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن أعظم آية في كتاب الله"الله لا إله إلا هو الحي القيوم" رواه سعيد بن منصور (رضي الله عنه)، وابن المنذر والطبراني وابن الضرسين والهروي في فضائله والبيهقي في الشعب ، (..) وعن ابن عمر (رضي الله عنه) أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خرج ذات يوم إلى الناس فقال أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعْدَ لَهَا واخْوَفَها وارْجَاهَا، فسكت القوم فقال ابن مسعود على الخبير سقطت.

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول أعظم آية في القرآن الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وأعدل آية في القرآن إن الله يأمر بالعدل والإحسان إلي آخرها، وأخوف آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وأرجى آية في القرآن ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله رواه ابن مردوديه والهروي في فضائله.

❖❖❖

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال ماخلق الله في سماء ولا أرض ولاسهل ولاجبل أعظم من سورة البقرة، وأعظم آية فيها آية الكرسي، رواه ابن الضرسين والهروي في فضائله (..)، وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) من قرأ في دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي، حفظه الله إلى الصلاة الأخرى، ولايحافظ عليها إلا نبي أو صديق أو شهيد رواه البيهقي في الشعب. وعن الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى، رواه الطبراني بإسناد حسن.

❖❖❖

وعن أيفع بن عبد الله الكلاعي قال: قال رجل: يارسول الله أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال آية الكرسي، الله لاإله إلا هو الحي القيوم، قال فأي آية في كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك، قال آخر سورة البقرة فإنها من كنوز الرحمة من تحت العرش، ولم تترك خيرا في الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه، رواه الدارمي، أيفع بسكون المثنات تحت ثم فاء بعدها عين مهملة.

❖❖❖

وورد أيضا على أن خواتيم سورة البقرة لله ما في السموات والأرض إلى آخر السورة، وفي بعض الروايات مادل على أن أولها آمن الرسول، والاحتياط الإتيان بالآية الأولى أو وقتا تلك وآخر هذه، وتسمية ذلك آية في هذه الرواية من تسمية الكل باسم الجزء، ونظائر ذلك كثيرة، وكأنه لما كان هذا الفضل مرتبا على الأتيان بهذه الآيات الثلاث والآياتين، نزل ذلك منزلة آية واحدة والله أعلم.

❖❖❖

وعن محمد بن الضرسين ابن الصلصال بن الدهمي عن أبيه عن جده أن رسول الله (ﷺ) قال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يكن بينه وبين أن يدخل الجنة، رواه البيهقي في الشعب.

❖❖❖

أقول ومن المعلوم أن الدخول إنما يكون بعد الحشر، فالظاهر والله أعلم أن المراد بذلك دخول روحه أو بجسم له وقوع ذلك في وقته، على أنه لامانع من حمل الحديث على ظاهره كما جاء في أخبار بعض الأولياء، وفضل الله واسع.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال قال رجل يارسول الله علمني شيئا ينفعني الله به، قال اقرأ آية الكرسي، فإنه يحفظك وذويك، ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك رواه المحاملي في فوائده، وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال كان رسول الله (ﷺ) إذا قرأ آخر سورة البقرة وآية الكرسي ضحك وقال إنها من كنز تحت العرش، وإذا قرأ من يعمل سوء يجزبه، استرجع واستكان رواه ابن مردويه وعن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أنه كان إذا دخل منزله قرأ في زواياه آية الكرسي رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن المنذر وابن عساكر، وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكرم وجهه قال سيد آي القرآن: الله لا إله إلا هو الحي القيوم رواه البيهقي في الشعب.

وعنه أيضا (رضي الله عنه) وكرم وجهه، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت. ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله على داره ودار جاره وأهل دويرات حوله رواه البيهقي في الشعب.

وعنه (رضي الله عنه) وكرم وجهه قال ما أرى رجلا ولد في الإسلام أو أدرك عقله الإسلام، يبيت أبدا حتى يقرأ هذه الآية الله لا إله إلا هو الحي القيوم ولو تعلمون ماهي. إنما أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش لم يعطها أحد قبل نبيكم، ومابت ليلة حتى قرأتها ثلاث مرات، أقرأها في الركعتين بعد العشاء وفي وَتْرِحين آخذ مضجعي من فراشي رواه عبيد وابن أبي شيبة والدارمي وابن الضرسين .

❖❖❖

أقول وذل ذلك على أن سيدنا عليا (رضي الله عنه) وكرم وجهه كان يستحب أن يقرأ بركعة الوتر بعد الفاتحة آية الكرسي، ويمكن أنه كان يضم إليها الإخلاص والمعوذتين لو رُودِهَا فيها.

وعن عوف بن مالك قال جلس أبو ذر (رضي الله عنه) إلى رسول الله فقال يارسول الله أي ما أنزل عليك أفهم؟ فقال الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى يختم رواه ابن راهوية في مسنده..

❖❖❖

وعن أبي أمامه قال قال رسول الله (ﷺ) من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت رواه النسائي وابن حبان والدارقطني وابن مردويه، وعنه أيضا يرفعه قال اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور، سورة البقرة وآل عمران وطه، قال أبو أمامة فالتمستها فوجدت في البقرة آية الكرسي، الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لاله إلا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء والطبراني وابن مردويه والهومي في فضائله والبيهقي في الأسماء والصفات...

وعن أبي ذر قال قلت يارسول الله أي ما أنزل عليك أعظم قال آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم رواه الامام أحمد وابن الضرسين والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب، وعن أبي قتادة أن النبي (ﷺ) قال من قرأ آية الكرسي وخواتم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله رواه ابن السني...

❖❖❖

وحيث أبدينا من فضائل هذه الآية طرفا، وأهدينا من فواضلها ظرفا، ورسمنا غرر ما عليه اطلعنا من الأنباء النبوية، ونظمنا دروسا به اضطلعنا من الأخبار المحمدية، فلابأس أن ندجج هذا الروض الأنف بمنثور ماثور التفسير، ونفوق هذا الحبر بما جاء في الخبر من معاني معدات هذه الآية على أحسن تحرير، ملحقين بذلك من مطامح أنظار المفسرين، تتمات هي نهاية المقاصد، ومن فويضات رب العالمين مهمات لن ترد إلا من تلك المعاهد، فنقول والله سبحانه ولي كل مامول ومولى كل سائل ومولى كل مسؤول.

❖❖❖

عن الربيع في قوله الحي قال حي لايموت، القيوم قيم على كل شيء يكلوه ويرزقه ويحفظه، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وعن مجاهد (رضي الله عنه) في قوله القيوم قال القائم على كل شيء. رواه ابن جرير والبيهقي في الأسماء والعضات وغيرهما، وعن الحسن (رضي الله عنه) قال القيوم الذي لازوال له رواه ابن أبي حاتم، وعن ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله لا تاخذه سنة ولانوم، قال السنة النعاس والنوم هو النوم رواه ابن جرير وابن المنذري وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهما وعن ابن عباس (رضي الله عنه) أن نافع بن الأزرق قال له اخبرني عن قوله تعالى لاتأخذه سنة ولا نوم قال. السنة الوسنان الذي هو قائم وليس بنائم، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم أما سمعت زهير بن أبي سلمان وهو يقول:

طوال الدهر تأخـــذه
ولاينام وما في أمره قيد

رواه ابن الانباري في كتابه الوقف والابتداء، والطيالسي في مسائله، وعن الضحاك في الآية السنة النعاس والنوم الاستثقال، رواه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ.

❖❖❖

وعن المدني قال السنة ريح النوم الذي لاتأخذه في الوجه، فينعس الإنسان، رواه ابن جرير وابن المنذر وعن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) قوله من ذا الذي يشفع عنده قال من يتكلم عنده إلا بإذنه رواه ابن أبي حاتم أيضا وعن مجاهد في قوله تعالى يعلم مابين أيديهم قال مامضى من الدنيا وماخلفهم من الآخرة رواه ابن جرير وابن عباس (رضي الله عنه)، يعلم ما بين أيديهم ماقدموا من أعمالهم وما خلفهم ما أضاعوا من أعمالهم رواه ابن أبي حاتم من طريق العوفي.

(يتبع)

في ظلال الحديث

الحديث الثالث والستون: الحذر من الإشاعة

نص الحديث: عن أبي قلابة قال: قال أبو مسعود لأبي عبد الله: ماسمعت رسول الله (ﷺ) يقول في زعموا، قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "بئس مطية الرجل زعموا" أخرجه أبو داود.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في قول الرجل زعموا (ج4/ص294/ح4972)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد(ج1/ص268/ح762)،(ج1/ص268/ح763). وابن حنبل في مسنده، مسند الشاميين، بقية حديث أبي مسعود البدري الأنصاري (ج4/ص119/ح17116)، وباقي مسند الأنصار، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي (ﷺ) (ج5/ص401/ ح23451) .

سند الحديث:

هذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةحدثنا وكيع عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي قلابة قال قال أبو مسعود لأبي عبد الله وذكر الحديث، وهذا تعريف موجز برواته:

أبو بكر بن أبي شيبة: هو أبو بكر بن أبي شيبة الحافظ الثبت عبد الله بن محمد بن أبي شيبة وإبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم الكوفي صاحب المسند والمصنف وغير ذلك، من طبقة كبار الأتباع، قال أحمد أبو بكر: صدوق هو أحب إلي من أخيه عثمان، وقال العجلي: ثقة حافظ، وقال الفلاس:مارأيت احفظ من أبي بكر بن أبي شيبة، وكذلك قال أبو زرعة الرازي وقال الخطيب: كان أبو بكر متقنا حافظا صنف المسند والأحكام والتفسير. قال البخاري: مات في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين(235) رحمه الله تعالى.

وكيع: هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس الرؤاسي من قيس عيلان كوفي من الحفاظ المتقنين وأهل الفضل في الدين ممن رحل وكتب وجمع وصنف وحفظ وحدث وذاكر وبث كان مولده سنة(129)، ومات بفيد في طريق مكة سنة ست وتسعين ومائة (196).

الأوزاعي: هو شيخ الإسلام أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الدمشقي الحافظ من خيار الناس ولد سنة (88)، أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وحفظا وفضلا وعبادة وضبطا مع زهادة، قال الهقل أجاب الأوزاعي في سبعين ألف (70000)مسألة، وقال إسماعيل بن عياش سمعتهم يقولون سنة(140)، الأوزاعي اليوم عالم الأمة وقال الخريبي كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه وكان يصلح للخلافة، وقال أبو إسحاق الفزاري لو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي، وقال الحاكم الأوزاعي إمام عصره عموما وإمام أهل الشام خصوصا، مات في ثاني صفر سنة (157) رحمه الله.

يحيى: هو أبو نصر يحيى بن أبي كثير الإمام الطائي مولاهم اليمامي أحد الأعلام، قال أبو حاتم ثقة إمام لايروي إلا عن ثقة وروى وهيب عن أيوب السختياني قال ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة(132).

أبو قلابة: هو أبو قلابة، عبد الله بن زيد بن عمرو ويقال بن عامر بن ناتل بن مالك، الجرمي البصري أحد الأئمة الاعلام قدم الشام وسكن داريا ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة وقال كان ثقة كثير الحديث وكان ديوانه بالشام فقال عمر لن تزالوا بخير يا أهل الشام ما دام فيكم هذا أو مثل هذا، وقال أيوب كان والله من الفقهاء ذوي الألباب ما أدركت بهذا العصر رجلا كان أعلم بالقضاء من أبي قلابة، وقال يحيى بن معين أرادوا أبا قلابة على القضاء وهو ابن خمسين سنة فأبى وخرج إلى الشام فمات بالشام سنة(104) روى له الجماعة.

أبو مسعود: هو أبو مسعود عقبة بن عمرو الخزرجي الأنصاري البدري، مشهور بكنيته شهد العقبة مع السبعين، وكان أصغرهم سنا، سكن بدرا وشهدها، وشهد أحدا ومابعدها، ونزل الكوفة وابتنى بها دارا، توفي سنة41هـ، وله في الحديث مائة وحديثان(102).

أبو عبد الله: حذيفة بن اليمان العبسي (ﷺ) من كبار الصحابة وهو بن حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو، لم يشهد بدرا وشهد أحدا هو وأبوه وأخوه صفوان بن اليمان وقتل أبوه يومئذ وشهد حذيفة الخندق ومابعد ذلك من المشاهد مع رسول الله (ﷺ) ولقد كان صاحب سر رسول الله (ﷺ) في المنافقين لم يعلمهم أحد غيره، واستعمله عمر بن الخطاب (ض) على المدائن، مات حذيفة بالمدائن بعد قتل عثمان بن عفان وجاءه نعيه وهو يومئذ بالمدائن ومات بعد ذلك بأشهر سنة ست وثلاثين وله عقب بالمدائن، له في كتب الحديث 225 حديثا.

أهمية الحديث

هذا حديث عظيم يؤسس لمنهج في نقل الأخبار، والتثبت من الرواية، تجنبا وتحذيرا من الإشاعة، التي قد تكون سببا في فتنة المجتمع، والفتنة أشد من القتل، وقد تكون في الدين أو الدنيا على السواء...

مفردات الحديث:

"مطية الرجل" بمعنى المركوب، أي ما يركب عليه من الدواب، ومايتوصل بها إلى الحاجة.

"زعموا": قال المناوي: الزعم بالضم والفتح قريب من الظن أي أسوء عادة للرجل أن يتخذ لفظ زعموا مركبا إلى مقاصده فيخبر عن أمر تقليدا من غير تثبت فيخطئ ويجرب عليه الكذب. وفي اللمعات: المقصود الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت ويكون على ثقة من ذلك لامجرد حكاية على ظن وحسبان.

المعنى العام

تقديم: إن أمتنا الإسلامية كانت ولم تزل وستسمر في مدافعة مايكاد ويحاك لها مما يخططه لها أعداؤها من إيجاد الثغرات وفتح الجبهات ونشر الإشاعات واختلاق الشبهات، من أجل تفريق الصف وتشتيت الكلمة وتضييع الجهود وهذا المكر والكيد من أعداء الأمة سنة ماضية وباقية، فهم لايألون جهدا ولايدخرون وسعا في سبيل تحقيق مآربهم وأهدافهم التي يصبون إليها.

(ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) فدلالة هذه الآية واضحة جلية في استمرار العداء بين الحق والباطل وهذا العداء نراه صباح مساء على اختلاف أجناسه التي لاتعد.

والهدف الذي يريدونه واحد هو كما نص الله تعالى عليه: الردة عن الدين والكفر بعد الإيمان.

وبعد هذا فلا عجب ولا غرابة إذن فيما نرى ونسمع من التخطيط السري والعلني على المدى البعيد ومن التنفيذ المباشر كلما سنحت فرصة ولاح لهم مدخل فتراهم يستميتون في بث باطلهم على أي وجه كان مستعينين بشتى الوسائل والسبل في نشر ذلك الباطل على أوسع رقعة من مجتمع المسلمين غير مبالين بكثرة الأذى الناتج، فذلك هدفهم ومرادهم (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا).

إنما الغريب أن يساعد في نشر أذاهم شريحة من المسلمين لا أعني أولئك الذين يحسبون على الإسلام فهذا النوع من الناس أدوات مسيرة مخلصة في ولائها لأعداء الإسلام فهي تقوم بواجبها المطلوب منها والمأجورة عليه، على أحسن وجه وأتمه ضاربين عرض الحائط بما يمليه عليه دينهم الذين زعموا كذبا وزورا لا أنهم من المتمسكين به فحسب بل من المدافعين عنه، وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا.

إنما أعني بذلك بعض الغيورين الذين خرجت عاطفتهم وحماستهم عن الحد الشرعي لها فأعانوا . على حسن نية . على زيادة الجراح ومن الأمثلة على ما وقع فيه أولئك أمر الإشاعة، تلك الآفة التي تسري في جسد الأمة سريان النار في يابس الحطب فتأكل بشراهة وتفسد في لحظات مايفسد بغيرها في ساعات أو أيام.

1. منهج الإسلام في نقل الأخبار: إنه لمنهج عظيم وميزان قويم ودقيق، أدق من ميزان الذهب في بيان صحيح الأخبار من سقيمها يتمثل في نصوص كثيرة على رأسها : "يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين"

ومن النصوص الثابتة في السنة: قوله (ﷺ): "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع" ومن ذلك أيضا الحديث الذي بين أيدينا : "بئس مطية الرجل زعموا".

ولقد ثبت عن أبي بكر (ض) عندما سئل عن ميراث الجدة فلم يعرف في ذلك علما فسأل الصحابة (ﷺ) فأخبره المغيرة (ﷺ) أن النبي (ﷺ) أعطاه السدس فطلب الصديق شاهدا لقول المغيرة فشهد على ذلك محمد بن مسلمة (ﷺ).

ومن ذلك قول أبي شريح عن ذكر حديث لعمر بن سعيد فقال: (ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي (ﷺ) الغد من يوم الفتح. سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به...) ومن ذلك مالك لابن وهب: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ماسمع ولايكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ماسمع.

2. مصادر الإشاعة: منشأ الإشاعة وأساسها غالبا ما يكون: خبر من شخص أو من جريدة أو من مجلة أو من إذاعة أو من تلفزيون أو من رسالة خطية أو من شريط مسجل أو من شبكة الانترنيت. فهذه الوسائل هي أهم طرق تناقل الأخبار بين الناس وانتشارها بينهم.

ولذا على ناقل الخبر أن يتروى ويتثبت في كل مايقال وليحذر أن يبادر بالتصديق الفوري فإن الأصل البراءة التامة وتلك الإشاعة ناشئة طارئة والأصل بقاء ماكان على ماكان حتى تقوم الأدلة الواضحة على ذلك.

3 أنواع الإشاعة: تختلف الإشاعة حسب اختلاف الشخص المنقول عنه أو الأشخاص المنقول عنهم. فتارة تكون الإشاعة مدحا وتارة تكون ذما وتارة تكون خليطا بين النوعين. وتارة تكون غريبة أي في سياق وقائعها حتى تكون في عداد المستحيلات لكن تلقف الناس وتناقلهم لها جعل المستحيل أمرا ممكن الوقوع.

4 مقاصد ترويج الإشاعة: إن مروج الإشاعة لايخلو مراده من مقاصد عدة.

الأول: النصح: بمعنى أن ترديده لتلك الإشاعة في مجلسه أو مجالسه إنما هو بدافع الحرص على نصح ذلك المشاع عنه، وهذا الأسلوب عليه ما عليه إذ شتان بين النصيحة والفضيحة.

الثاني: الشماتة: وذلك بأن يكون الدافع والمحرك لنشر الإشاعة وترويجها بين الناس إنما هو الشماتة بصاحبها والوقيعة فيه، عياذا بالله من هذا.

الثالث: الفضول، وهذا حال أغلب المروجين للإشاعة فإن إصغاء السامعين لحديثه وإشخاصهم بإبصارهم إليه وتشوقهم لسماع كل مايقول دافع من أعظم الدوافع لنقل الإشاعة هذا إن سلم ولايكاد إلا من رحم الله . من التزويد في الكلام بغية تشويقهم وتعلقهم بما يقول.

الرابع: "قطع أوقات المجالس بذكرها"، فمن المعلوم المشاهد أن كل من الحاضرين أو أغلبهم في المجلس يريد أن يدلي للمشاركة في الكلام والنقاش . ولو كان عقيما . ويرى السكوت نقصا في حقه فتراه يذكر هذه الإشاعة بقصد المشاركة في الحديث بغض النظر عن مايترتب عليه نقله ذاك.

5. حكم الإشاعة وناقلها والمنقولة إليه والمنقولة عنه:

أ. أما الإشاعة فإن منها ما يتفق العقلاء على بطلانه أو كما يقال: "سقوطها يغني عن إسقاطها" و "بطلانها يغني عن إبطالها" وأعمال العقلاء منزهة عن هذه كما هي منزهة عن العبث.

أما أن تكون الإشاعة تكذيبا لشيء ورد القرآن بتصديقه أو على العكس من ذلك، كبعض الشائعات التي تخرج بين فينة وأخرى بأن القيامة تقوم في اليوم الفلاني بالتاريخ الفلاني أو بأن فلانا من الناس يموت في وقت كذا في يوم كذا في مكان كذا وماشاكل ذلك فهذا كله من الرجم بالغيب الذي ما أنزل به من سلطان. "إن الله عنده علم الساعة" و " قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يبعثون" وبكل حال فنقل الإشاعة بدون تروٍ ولغير مصلحة يؤدي إلى مفاسد كثيرة.

ب . أما ناقل الإشاعة، فليزمه أمور منها:

أولا: أن يبقي الله تعالى في نفسه ويراقبه في كل ما يقول ويفعل.

ثانيا: أن يتذكر أنه محاسب على كل كلمة يقولها. قال تعالى : "وإن عليكم لحافظين" وقال أيضا:(ومايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال (ﷺ): "كفى بالمرء . كذبا أو إثما . أن يحدث بكل ماسمع"

ثالثا: أن يكون قصده سليما لا لوث فيه كأن يستغل ذكر الإشاعة للتنفيس عن نفسه مما يجد في صدره عن المنقول عنه فليحذر المسلم من هذا المسلك المشين: (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) وعلى هذا فلزاما على المسلم أن يصلح قبله وقلبه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ومتى ما علم الله ذلك منه فسيرى ويلقى من الله مايحب ويرضى.

رابعا: أن يتروى ويتثبت في كل ما يقول وأن يحذر من التزيد في الكلام وأن لا ينقل إلا ماكان متأكدا من سماعه أو رؤيته حتى تبرأ ذمته. وإليك هذا المثال الذي يبين لك كيف كان الصحابة (ﷺ) وهم أتقى الناس. بعد النبي (ﷺ) يتحرون ويتثبتون في نقل الأخبار وهم من هم في العدالة والصدق والأمانة. فعن أبي شريح (ﷺ) أنه قال لعمر بن سعيد . وهو يبعث البعوث إلى مكة . ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي (ﷺ) الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به..الخ.

خامسا: أن يكون مقصده من نقل الإشاعة التأكد من صحتها إلى المنقول عنه فعليه أن يبين هذا لمن يستمع إليه حتى يستنير بآرائهم حول هذا الخبر.

سادسا: على ناقل الإشاعة أن يفرق بين المجالس التي يرتادها أو الجليس الذي قد يجالسه وقت حدث الإشاعة فما كل مجلس يصلح، بل إن بعض المجالس قد تزيد بل تزيد في ترويج الإشاعة وعلى أوجه مختلفة، فيتسع الخرق على الراقع وهذه المجالس هي التي يحضرها الغوغاء من الناس.

سابعا: على ناقل الإشاعة أن يحث المنقول لهم على التثبت والتروي والتأكد في نقلهم عنه لأنه المصدر الأصلي لهم وكل كلام يخرج منهم فمحسوب عليه ومنسوب له. قال عمر (ﷺ) عندما إن أراد أن يقول مقالة له قال (ﷺ): "أما بعد فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشي ألا لايعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي".

ثامنا: أن يسارع أولا في استشارة أهل العلم والفضل في أمر هذه الإشاعة وعليه أن يأخذ بمشورتهم فإنهم أدرى بالمصلحة بحكم علمهم وتجربتهم، بل قد بين الله تعالى في محكم التنزيل أن هذا المسلك هو السليم في مثل هذا. قال تعالى : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا".

ج . أما المنقول له أي الذي نقلت له الإشاعة.

أولا: عليه أن يذكر الناقل بالله تعالى وأنه محاسب ومؤاخذ على كل كلمة يلفظ بها.

ثانيا: وعليه أيضا أن يحثه على التروي وعدم العجلة في نقله.

ثالثا: عليه أيضا أن لايبادر بتصديق الإشاعة فورا خاصة إذا لم تكن الأدلة والقرائن قائمة أكمل قيام.

رابعا: إذا كانت الإشاعة عن شخص موسوم بالخير فينبغي أن يحمل على المحمل الحسن ويلتمس له العذر في ذلك إذا كان للعذر مبرر شرعي صحيح، فإن لم يكن له مبرر في مانسب إليه فعلى المنقول له أن يذكر الناقل بأن الواجب في هذه الحالة النصح والتوجيه حتى يستقيم الخلل الذي سبب وجود الإشاعة.

د . أما المنقول عنه:

لايخلو من نسبت إليه الإشاعة في الجملة من أمرين اثنين، إما أن يكون معلوما أو مجهولا، فإن كان معلوما فإما أن يكون من المشهود لهم بالخير والاستقامة وخاصة العلماء أو من عامة المسلمين فإن كانت الإشاعة منسوبة إلى القسم الأول أي المشهود لهم بالخير فعلى الإنسان أن يتقي الله ويمسك لسانه عن الخوض في أعراضهم خاصة العلماء المشهود لهم بالخير وحسن المعتقد، فإن لحومهم مسمومة.

وإن كان من نسبت إليه الإشاعة غير موسوم بالخير فليحذر الناقل أن يتزيد عليه حتى لو كان عدوا له فإن هذا من الظلم والكذب (ولايجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

أما إن كان الشخص مجهولا فالحق أن يلحق بالذي قبله ولايجوز ناقل الإشاعة لنفسه التقول عليه بدون تثبت محكم جهالته. فالجهالة لاتشفع للقول بلا علم.

6. الآثار المترتبة على "زعموا"/الإشاعة كثيرة منها:

1. اتهام البريء بما ليس فيه.
2. تلوث الذمم والألسنة نتيجة الخوض في أمور بلا ترو وتثبت.
3. انعدام أو تقلص الثقة المتبادلة بين الناقل والمنقول له.
4. شماتة المجتمع وبالذات المحسوبون على الإسلام خاصة إذا كان منشأ الإشاعة ومصدرها من العاملين في حقل الدعوة.
5. ومن أراد يستزيد عن الآثار الوخيمة عند بطلان الإشاعة فعليه بمراجعة شرح حديث الإفك تلك الشائعة التي هي أم الشائعات.

حديث المنابر

العبودية

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

مغريات الدنيا ومهما قوي متاعها فهو لا يحوله عن وجهته نحو الله، لأنه يرجو الله ويخاف الله، ويخشى عن علم ويقين عقاب الله... بل إنه حتى في أعمال التطوع من البر والمعروف يقوم بها وهمه إرضاء الله، لايرى فيها حظا لنفسه، ولاحظا لأي كان غير الله، فهو يسعى جاهدا أن يخفي أعماله للبر والإحسان حتى عن نفسه لو كان ذلك ممكنا حتى لايغتر فيخسر.. إنه إنسان يحيا حياته لله وبالله لنفع خلق الله عيال الله ليكون من أحب خلق الله إلى الله.. وإنسان كهذا هو حقا عبد الله، لأنه أسلم كله لله، وحمل كله على الله.. كيف أسلم كله الله؟ لأنه عَلِم عِلمَ يقين أنه عبد لله على كل حال وأن الله ربه في كل حال، فهو في حكم الله تعالى راض بقضائه، وهو في سبيل الله تعالى ساع إلى إرضائه، ولو كان الثمن روحه يضحي بها جهادا في الله، وهو في كنف الله فلا يلجأ إلا إلى الله، ولايسأل إلا الله، وإن استعان بأحد من عباد الله ففيما يرضي الله من التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. ومن كان هذا حقا حاله كان تحقيقا عبدا لله.. وتحقق بصفة العبودية الحق، وهي العبودية لله وحده، لا لأي طاغوت من الطواغيت أيا كان، وأشرف منزلة يمكن أن يبلغها إنسان هي أن يحقق عبوديته لله بقلبه ولسانه وحركته وسكونه، حتى يمكن أن يكون في هذه العبودية متحررا من الرق المادي والمعنوي لأي طاغوت من الطواغيت، والطاغوت هو كل ماعبد من دون الله حبا وخوفا وطمعا، لهذه جميعها، أو حتى لإحداها، ولهذا نجد أحد الغاوين من الشعراء يقول معبرا عن شدة حبه وهيامه بمعشوقته:

ياعمرو ثاري عند زهرائي
يعرفه السامع والرائي
لاتدعني إلا بيا عبدها
فإنه أشرف أسمائي

وعن هذا وأمثاله قال تعالى: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله" وخير من حقق عبوديته لله تعالى، وتحقق بهذه العبودية، وتحرر بها من كل رق مادي أو معنوي هم رسل الله الكرام، وعلى رأس القمة منهم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليهم وسلم جميعا، ولهذا فقد كان خير نعت وأشرف صفة وأعلى شيمة وأسمى خلة نعته الله بها في أعظم وأكمل أحواله هو العبودية الخالصة المخلصة لله تعالى، ففي حال الإسراء قال عنه: "سبحان الذي أسرى بعبده..." وفي حال المعراج والوحي قال عنه: "فأوحى إلى عبده ماأوحى" وفي حال الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل إعلاء كلمته وتحمل الشدائد من أجلها قال عنه:"وإنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا" وفي حال التحدي بالحق قال عنه: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله.."

ومن تحقيق العبودية لله والتحقق بها أن يكون العبد لله حقا من الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، بحسب علمه وقدرته، وأن "يجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله، ويحب في الله ويبغض في الله، كما قال سبحانه وتبارك وتعالى:"ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق..."وقال عز وجل أيضا: "لاتجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه" بل إن الكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض، والله تعالى ولي المتقين، وهو عز وجل يتولى الصالحين.

وقد كنت دائما أتساءل مع نفسي: كيف لايوالي بعض نحل الصليبيين يهود الصهيونية وهم يعتبرون التوراة المحرفة بأيديهم وأيدي أحبارهم ورهبانهم العهد القديم من كتابهم المقدس؟ والإنجيل. أو على الأصح الأناجيل الأربعة وتوابعها من رسائل رهبانهم. هو العهد الجديد؟ وقد وجدت جوابا لدى الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر) ورد في كتاب له بعنوان: (المحافظة على العقيدة): "إن الأخلاق اليهودية ودراسة الكتاب المقدس هي موضوع مشترك يربط بين اليهود والمسيحيين، وكانت قناعتي بذلك جزءا من كياني طول حياتي، وكنت علاوة على ذلك مقتنعا بأن اليهود الذين نجوا من الإبادة (خلال الحرب العالمية الثانية) يستحقون أن يكون لهم وطن، وأن من حقهم أن يعيشوا في سلام مع جيرانهم، وكنت موقنا بأن إيجاد وطن لليهود هو من تعليمات الرب، ونتيجة لتلك القناعات الدينية والأخلاقية، فقد أصبح التزامي بأمن إسرائيل ثابتا لايهتز.. وقد كان هناك عامل هام وآخر يسيطر على تفكيري، وهو أن كلا من أميريكا وإسرائيل دولة دميقراطية، كانت إسرائيل دولة صغيرة يحيط بها الأعداء من كل جانب، وقد أثار ذلك في نفسي الشعور بالمسؤولية نحو جعل إسرائيل قادرة على الدفاع عن نفسها، لقد انتصرت إسرائيل في حروبها الأربعة ضد العرب، وقد كان ذلك مبعث شكر واعتزاز من جانبي.. كنت مقتنعا بهذه الأفكار قبل أن أصبح رئيسا للولايات المتحدة، وكان الكثيرون من الشعب الأميريكي يشاركونني تلك الأفكار، أما بعد أن أصبحت رئيسا للولايات المتحدة، فقد أصبح لتلك الأفكار أبعاد أخرى.. فلمصلحة بلادي كنت أرى ضرورة إبعاد النفوذ السوفياتي عن المنطقة، وكنت أريد استقرار الأمن والسلام في الشرق الأوسط.. وقد كانت تمثل عاملا استراتيجيا هاما لتحقيق الأهداف تلك.. أما الدول العربية فلم يكن لدي أي شعور متعاطف معها..."فاللهم إنك تعلم أن أعداءنا. وهم أعداؤك. لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم.. وهداك هو الهدى.. وهو الحق والنور.. وهو الشفاء الكامل لكل داء مادي أو معنوي.. فثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وعلى طاعتك.. واكفنا شر من يريد بنا شرا من الإنس والجن.. اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.. اللهم بك نصول وبك نجول وإليك الملجأ وإليك المصير، إنا عبادك أبناء عبادك أبناء إمائك نواصينا بيدك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك فاقض لنا ولا تقض علينا وكن لنا ولاتكن علينا... وانصرنا على من عادانا فيك يانعم الولي والنصير.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله السلام الذي منه السلام وإليه يعود السلام.. حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد.. حتى يطيب عيشنا بعون الله بسلام، وحتى يلقى كل منا الله تعالى بسلام، فيجزينا بالجنة دار السلام، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه من أهل الإسلام دين السلام الذي أمر أهله بالدخول في السلم كافة...

أيها المؤمنون عباد الله الصالحين، إن قيمة كل عابد بمعبوده، كما أن شرف كل عارف بمعروفه، ولهذا فإن عبد الله الذي لايعرف إلا الله ولا يرضى بما سوى الله.. هو أعلى قيمة من كل ذي قيمة من الناس، ومعرفته أسمى معرفة بين كل المعارف.. وأخلاقه أطهر أخلاق يتصف بها إنسان تتجلى في عبادته لله وفي عبوديته لله.. وخير تحقيق لهذه الأخلاق في الوجود ليكون خير عابد لخير معبود هو أن يعمل بأربع خصال: الوفاء بالعهود، حفظ الحدود، الرضا بالموجود، الصبر عن المفقود، فاللهم أعنا على الوفاء بالعهد، وأنت أو فى بكل عهد، وأنت القائل: "ومن أوفى بعهده من الله"..

اللهم كن لنا عونا وسندا في حفظ الحدود، حتى لانظلم أنفسنا، وأنت القائل: "ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه" اللهم أرضنا بك ربا وإلها معبودا وارض عنا عبادا لك صالحين أتقياء مسالمين لك موالين... واجعلنا ممن قلت فيهم من عبادك الصالحين: "رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه"اللهم اجعل صبرنا بك عن كل ما سواك، فمن وجدك لم يفقد شيئا، ومن فقدك فقد كل شيء، واجعل كلا منا من أهل الصبر الجميل، كعبدك نبي الله يعقوب عليه السلام الذي قلت في كتابك على لسانه: "فصبر جميل"... اللهم كن لمولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين عبدك الذي وليته أمور عبادك في هذا البلد المغرب الأمن الأمين خير ولي وخير مؤيد ونصير وخير عون، وسند حتى يحقق السلام لأمة الإسلام أمة السلام، ليحيا عباد الله جميعا في أمن وسلام وحب ووئام وعز وإيمان وإحسان وإسلام... اللهم افتح عليه الفتح المبين الذي يحقن الدماء ويصون الأرواح ويحفظ المتاع لكل المسلمين... اللهم أقر عينه بشقيقه السديد المجيد السعيد الرشيد مولانا الرشيد، وبسائر أهله وولده وبشعبه النبيل المجاهد المرابط المسالم الراضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا...

المرأة المسلمة مالها وما عليها أو المرأة وحقوقها في الإسلام

■ بقلم محمد العزوزي / فاس

■ المرأة ذلك المخلوق الذي هو نصف المجتمع ، ولولاها لما كانت للحياة وجود في هذا الكون، فالمرأة شقيقة الرجل لافرق بينه وبينها، كل منهما حصن منيع لصاحبه، لا غنى لأحدهما عن الأخر، (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) جزء آية 186 سورة البقرة وقد وردت لفظة المرأة في القرآن الكريم ستة وعشرون مرة (26).

وردت مفردة (المرأة) أحد عشر مرة (11).

ووردت مضافة إلى كاف الخطاب مرتين(2)

وإلى هاء الغائب ثمان مرات(8).

وإلى ياء المتكلم ثلاث مرات(3)

ووردت مثنى مرتين(2).

ولم ترد جمعا من لفظها.

وجمع المرأة : نسوة ونساء ، فعلها : نسو.

وورد هذا الجمع في القرآن تسعة وخمسين مرة (59).

وردت لفظة : نسوة مرتين كلاهما في سورة يوسف (2).

ووردت لفظة النساء معرفة بال ثمانية وعشرين مرة (28).

ووردت نساء نكرة بدون أل ثمان مرات(8).

ووردت بحرف نداء: يا نساء ، مرتين كلاهما في سورة الأحزاب(2).

ووردت بالإضافة لكاف الخطاب وهاء الغائب وياء المتكلم ونا تسعة عشرة مرة (19) ، المجموع 59 مرة.

إلا أن الذي نحن بصدد الحديث عنه ، هو موقع المرأة من المجتمع ، ماذا لها؟ وماذا عليها ؟ فهي لها حقوق وعليها واجبات ، ويجب عليها أن تعرف حقوقها وتطالب بها، وتعرف الواجبات التي عليها وتلتزم بها، وتحرص على إنجازها لتنال بذلك رضي ربها، ورضى زوجها ، فالمرأة قد رفع الإسلام من شأنها ومكانتها بعد أن كانت مضطهدة مسلوبة الحقوق عند بعض الأمم السابقة ، قبل مجيء الإسلام، كان بعضهم يهدرون منزلتها ، ولا يعتبرونها إنسانا ، كانوا يسلبونها أهلية التصرف، ولا يرون أنها تصلح لشيئ سوى خدمة البيوت واستيلاد الأطفال ، وبعضهم كانوا يرونها دنسا ورجسا من عمل الشيطان.

وقال بعضهم: إن المرأة هي المسؤولة عن انتشار الفواحش والمنكرات في المجتمع الإنساني ومنذ أقدم العصور.

ويراجع كتاب : المرأة بين البيت والمجتمع للكاتب المصري البهي الخولي دار الفتح للطباعة والنشر تاريخ : 1372 هـ 1953م.

يراجع أيضا: المرأة المتبرجة ، وأثرها السيء في الأمة للأستاذ العلامة عبد الله بن عبد القادر التليدي، الطبعة الثانية : 1411هـ 1990م دار ابن حزم بيروت.

أما العرب قبل الاسلام فكانوا لا يرحبون بميلادها، فيرون مجيئها وميلادها مجلبة للعار، وأحيانا يذهب العربي بوليدته وهي حية، فيحفر لها حفرة، ثم يضعها فيها، ويهيل عليها التراب إلى أن تخمد أنفاسها ، ويرى بذلك أنه قد أمن العار المتوقع، أو الفقر المنتظر، قال تعالى مخبرا عنهم : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشربه، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون» سورة النحل/ الآية :59.

وقد ذم الله فعلهم هذا وتوعدهم بقوله» وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت » سورة التكوير/ الآية: 8 . وموءودة أي مقبورة في مغارة أو بئر أو حفرة وهي حية، سئلت مبنيا للمفعول، وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس:(سألت) مبنيا للفاعل، ومعنى سُئلت على قراءة الجمهور أن توجيه السؤال لإظهار كمال الغيظ على قاتلها ، حتى كان لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك ، وفيه تبكيت لقاتلها، وتوبيخ له شديد، قال الحسن : أراد الله أن يوبخ قاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب ، وفي صحف أبي: وإذا الموءودة سألت: بأي ذنب قتلت؟

انظر فتح القديم للشوكاني ج:5 ص:549.

وهكذا اجتمعت الأمم السابقة قبل الإسلام. عرب وغير عرب. على امتهان المرأة واحتقارها ، وسلبها حقوقها، وجعلها بضاعة تباع وتشترى ، يتصرف فيها الرجل كما يشاء، وكما يريد ، كان يعتبرها كالخادم المملوك، له الحق في بيعها، وكان لبعض تلك الأمم وسائل خاصة في تعذيبها، حتى بلغ الأمر بهم لإحراقها بالنار وهي حية، المصدرين السابقين للبهي الخولي ، وعبد الله التليدي.

وجاء الإسلام. ومنذ أزيد من أربعة عشر قرنا ليرفع من شأن المرأة ومنحها حقوقا كانت قد سلبت منها عند الأمم السابقة ، لأن الإسلام دين العدل والمساواة قدر إنسانية المرأة ، وقدر فضلها وصلاحها وأقر مشاركتها للرجل فيما هو في طاقتها وما يناسب أنوثتها من الأعمال والتكاليف، لأنها: الأم، والزوجة، والبنت، والأخت، والجدة، والعمة، والخالة ، قال تعالى:« يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا، سورة النساء/ الآية : 1.

وهذا خطاب للناس كافة رجالا ونساء ، ثم خاطب الله تعالى سلالة آدم بقوله:« هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به. فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) سورة الأعراف/ الآية : 189، قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز.ج : 7 ص : 223 طبعة الأوقاف : ليسكن إليها أي ليأنس ويطمئن ، وكان هذا كله في الجنة ، ثم ابتدأ بحالة أخرى هي في الدنيا بعد هبوطهما.

وفي إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج : ص : 219، أي ليستأنس بها ويطمئن بها اطمئنانا مصححا للأزواج، كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى:(فلما تغشاها) أي جامعها ، انتهى منهما بلفظه.

إذن، نقول : فكما سكن واطمئن واستأنس آدم زوجه حواء، سكن واطمأن واستأنس أبناؤه بزوجاتهم ، ومنذ ذلك الحين وإلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها ، فالرجل لا غنى عن الزوجة ، والمرأة لاغنى لها عن الزوج، فكل منهما كجدار لصاحبه يمنعه من وصول الأذى إليه ، أو عمود من أعمدة الحياة التي سارت وتسير إلى يوم الدين.

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، :(إن النساء شقائق الرجال).

- رواه أبو داود ج:1 ص:61 رقم الحديث 236:

- رواه الترميذي بشرح عارضة الأحوذي ج:1ص154 رقم 113.

رواه الدارمي بلفظ:(إنما هن شقائق الرجال) ج 1ص:141 رقم:769.

- والإمام أحمد في مسنده ج:6 ص:256 : إن النساء ...ص :377 بلفظ إنما هن...

- وفي لسان العرب ج :10 ص 183 (النساء شقائق الرجال، أي نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنهم شققن منهم ، ولأن حواء خلقت من آدم)، ونفس الجملة في النهاية في غريب الحديث لابن كثير ج :2ص 492.

والإسلام كما جعل للرجال حقوقا على المرأة ، جعل للمرأة حقوقا على الرجل ، قال تعالى:(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) سورة البقرة بعض الأية 226.

فحقوق الرجل على المرأة أن تعطيه في ما لا معصية فيه، وتحسن عشرته، وتتجنب ما يكرهه أو يثير غضبه، وتحافظ على بيته، وتتصرف فيما تحت يده بالمعروف ، ولا تخرج إلا بإذنه ، وأن تحفظه في عرضها وماله إذا غاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها ، انظر فيض القدير ج 3ص 138 رقم : 2945، وانظر حسن الإسوة لصديق خان ص : 497 ضمن مجموعة أحاديث رقم 470.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها، رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه أحمد في المسند عن عبد الرحمن بن عوف (ض) والبزار عن أنس، انظر كشف الخفاء ج:1ص:92 رقم:249، وانظر حسن الإسوة ص:479، وقال صلى الله عليه وسلم:« خيرالنساء التي تسره إذا نظر ، وتعطيه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره) كشف الخفاء ج :1ص : 395 رقم : 1262.

أما حقوق المرأة على الرجل فقد قال الله تعالى في محكم كتابه : (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) النساء بعض الأية :19، وحسن العشر يقتضي عدم إهانتها وإيذائها إذا بدا منها بعض هفواتها في معاملتها وسلوكها، والنبي عليه الصلاة والسلام، كان قدوة مثلى في نبل المعاملة وكمال العشرة الزوجية، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) رواه عدد من الرواة بألفاظ مختلفة ، انظر كشف الخفاء ج:1 ص : 386 رقم 1234.

ويقول مرشدا الأزواج إلى أن حسن العشرة الزوجية من الإيمان ، قال صلى الله عليه وسلم : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله) كشف الخفاء ج:1 ص:175 رقم 522.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، فإن تركته لم يزل أعوج) وفي رواية (استمتعوا بهن على ما بهن من عوج) كشف الخفاء ج:1 ص:120رقم 331.

البخاري ج : 7 ص :34 / مسلم ج: 4 ص :178.

سنن الدارمي ج:2ص:103رقم الحديث :35.

مسند الإمام أحمد ج :2صفحات : 530497449428.

والإسلام جاء بالإصلاح العام للبشر، والقضاء على ما أحاط بالفرد والمجتمع من الخطر ، وكان فيما قصده بالإصلاح حال المرأة، قال تعالى :(والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا وإن خفتم شقاق بينهما حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليهما خبيرا) سورة النساء/ الآية: 35-34.

وفي نفس السورة الآية :127(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير...) ، في الآيات السابقة يوجه الله تعالى الرجال ويبين لهم الطريق كيف يعاملون المرأة إذا صدر منها نشوز أو إعراض، وبين سبل العلاج لإصلاح ذات البين، وذلك إما بالموعظة أولا، أو بالهجران في المضاجع ثانيا أو بالضرب إن اقتضى الحال ذلك. لكن ضربا غير مبرح. كما ورد في الحديث ، فإن لم تجد أو تنفع هذه الطرق كلها ، فليلتجأ إلى حكم من أهله وحكم من أهلها، إلى أن يتوصلا إلى الصلح المنشود والمطلوب، وذلك هو الغاية والمراد.

أما نفقة المرأة فقد جعلها الله على أبيها إلى أن تتزوج ، فإذا تزوجت صارت نفقتها على زوجها، فعن سيدنا معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله: ماحق زوجة أحدنا عليه؟ قال صلى الله عليه وسلم:(أن تطعمها إذا طمعت ، وتكسوها إذا اكتست ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في المبيت) رواه ابن ماجة ج:1ص:593 رقم الحديث :1850.أما في الإرث والتركة فقد تولى الله القسمة ، ولا حق لأحد مهما كان أمره وشأنه أن ينقص أو يزيد فيما فرض الله لها ، فقد أعطى لها ما تستحق في جميع الحالات ، قدر لها نصف ما يرث الرجل إذا كانت عاصبة ، قال تعالى:(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) سورة النساء بعض الأية :11. وفرض للواحدة النصف أختا كانت أو بنتا، وللبنتين أو الأختين فما فوق الثلثين، قال تعالى » فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة فلها النصف) نفس الأية والرقم، وأعطى للزوجة أو الزوجات الثمن مع وجود العقب، وأعطى لها، أو لهن الربع مع عدم وجود العقب، قال تعالى :(ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) سورة النساء بعض الأية "12 وأعطى للأم السدس مع وجود الأبناء أو الإخوة ، وأعطاها الثلث مع عدم وجودهما ، قال تعالى :(فإن لم يكن له ولد ووثه أبواه فلأمه الثلث ، فإن كان له إخوة فلأمه السدس) نفس السورة والأية، وأعطاها الربع في صورة خاصة ، وهي في إحدى الغراوين ، ففي الدرة البيضاء للشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري الجزائري رحمه الله توفي 906هـ 1505، بزاوية بنطنيوس قرب مدينة بسكرة، قال:

من ذلك الغرا فريضتان
زوجة أو زوج ووالدان
للأم ثلث فضل كل مسألة
على خلاف ما مضى في السابقة

وأعطى للجدة أو الجدتين السدس دائما، ترثه واحدة أو يقتسمانه ، والجدتان ترثان بالسنة.

وأعطى للأخ أو الأخت من الأم السدس، فإن تعددا فيقتسمون الثلث بالتساوي لا فرق بين الذكر والأنثى، وهذا إذا كان الهالك كلالة ، لقوله تعالى:(وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث...) سورة النساء بعض الأية :12.

تابع ص:11

مدح ابن يجبش التازي الشاعر الصوفي لشرح العقيدة الصغرى التي ألفها الشيخ السنوسي

■ إعداد الأستاذ : امحمد الامراني

■ يقول محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني المشهور بالملالي في كتابه « المواهب القدوسية في المناقب السنوسية» المخطوط بالخزانة الحسنية رقم 1266.

« ابن يجبش ولي من أولياء الله، له قصائد تدل على مقامه وعلو مكانته ، ومن شعره ما قاله يمدح شرح العقيدة الصغرى التي ألفها الشيخ السنوسي ، وهي إحدى تآليفه التي تدل على تحقيقه وغزارة. علمه، وكان الإمام السنوسي قد وجه هذا الشرح إلى ابن يجبش الذي كتب إليه هذا التقريظ.

صاغ الإمام الأوحد البحر الرضى
نجل الكرام محمد بن الشيخ ذو
الطاهر الأصل محاسن المرتضى
دررا تفوق محاسن الدر التي
بل لا يماثل حسنها أذهى من
وهي موصولة المريد لما رجا
وحصوله في مأمن من خوفه
من كل نوع صاغ منها جملة
بهرت عقول العارفين وكل من
شهدت بكمال عقل راجح
وصفاء قلب مع نفوذ بصيرة
فالله يحفظه ويبلغ قصده
مع والديه وجملة الإخوان مع
والعبد يطلب من صفاء كما لكم
فعساه يبلغ ما رجا من توبة
يارب بلغني الذي نويته
واغفر لكل عبيدك ماجنوا
وامنح لنا ما منحت ذوى التقى
وصل الصلاة على النبي محمد
ثم الرضى عن آله مع صحبه.

عز المعلوم ومبطل الشبهات
الإفضال يوسف معدن البركات
الصالح المبرور في الدعوات
قد تقتني ذخرا إلى الفاقات
أعلى الوسائل مطلبا للذوات
من فتح انوار وفيض هبات
وذهاب شك مفسد الحسنات
بقواطع البرهان ملتحفات
قد أنصف الهدى لمختفيات
وتمام معرفة وحسن لمختفيات
وصفاته . ياصاح . خير صفات
ويجعله في ارفع الدرجات
ولدانه وقرابة وحماة
أن تذكروه بصالح الدعوات
وجميع ما يفضي لخير نجاة
في هذه الدنيا وبعد وفاة
من مومن الأحياء والأموات
واصفح لنا عن جملة العثرات
خير الورى المبعوث بالرحمات
والتابعين وتابع قد ياتي

فجزاكم الله يانعم السيد عن أنفسكم وعن المسلمين بأفضل مما جازى به أولياء المتقين، لقد بذلتم الجهد في نصح المسلمين وبينتم الإشكال على كثير من المتقدمين والمتأخرين ، ونظمتم ماكان مفترقا من تلك الدرر ، واظهرتم ماكان مختفيا من تلك الغرر، فبرزت مقنعة بجلاليب تلك العبارات ، منخرطة في سلك أساليب تلك الإشارات ، ممتنعة على كل طفيلي لا يقدر قدرها، ولايسلك وعرها ، قائلة بلسان حالها ، ومعبرة عن مقام من أبرزها في حسن جمالها ، يقول القائل:

فشأن فحول أهل العلم شأني وشأن البسط تعليم الصغار.

تقريظ ابن يجبش التازي الشاعر الصوفي لشرح العقيدة الأخرى (صغرى الصغرى) التي ألفها الشيخ السنوسي.

يقول الملالي في كتابه المخطوط السالف الذكر.

وكتب إليه لما بلغه شرح العقيدة الأخرى بالتقريظ التالي:

وفريدة صاغ الإمام المرتضى
نجل الكرام الصالحين ذوي العلا
بحر العلوم ومعدن الأسرار من
لو ابصرت عيناك حسن عقيدة
لرأيت مايجلو القلوب من الصدى
فعليك يانعم الحبيب بدرسها
في شرحها ظهرت غرائب علمه
عول على كتب الإمام فإنها
إذ ما يكون من القلوب صدوره
فالله ينفعه وينفع كل من
وينيله اجرا عظيما دائما
فعليه من رب العلا صلواته
ثم الرضى عن آله مع صحبه.

العالم الحبر التقي الأمجد
الطاهر الأصل الشريف محمد
بين الأنام وعصره والمرشد
قد صاغها هذا الإمام الأوحد
وينيلها نورا حكاه الفرقد
تدرك فوائد دونها لا توجد
فاقصد إليه ورد فنعم المورد
تغنيك عن طلب الشيوخ وترشد
فالقلب يقبل ما يقول السيد
قد رام ماقد صاغه ويؤيد
ويحله حيث النبي محمد
مادام في أعلى الجنان مخلد
والتابعين ومن لهم قد يسند

مدح ابن يجبش التازي الشاعر الصوفي لمؤلف " مكمل اكمال الأكمال ، الذي ألفه الشيخ السنوسي.

يظهر أن العلاقة العلمية كانت قوية بين الشيخين الصوفيين : السنوسي وابن يجبش الذي كان معجبا بتآليف السنوسي التي تلقاها فحول الأولياء وأكابر العلماء بالقبول، فهو لم يكتف بتقريظ عقيدته السالفتين ، بل نجده ينظم قصيدة أخرى في مدح الإمام السنوسي ،ويقرظ كتبا ألفه في الحديث ، فقد جاء في كتاب « المواهب القدوسية في المناقب السنوسية» عند ذكر الملالي مؤلفات الشيخ مايأتي:

ومنها مختصره العجيب لإكمال الإكمال للشيخ الأبي على شرح مسلم وسمى الشيخ مختصره العجب« مكمل الإكمال » وزاد فيه نكتا غريبة ودررا عجيبة، وهو في سفرين ، وقد مدحه الشيخ الولي سيدي محمد الشهير بابن يجبش التازي في قصيدة فقال :

أيا من يريد الفوز من كل نقمة
عليك بباب العلم فألزمه واجتهد
وبادر إلى علم الحديث فإنه
على أصله كل القواعد تنبني
به مجمل القرآن اضحى مبينا
على نهجه جل المشايخ قد مضوا
فغاصوا لما راموه من كل جوهر
فإن شئت ان تحظى بسر لبابه
أمام الورى بحر العلوم بعصره
محمد نجل الشيخ في المجد يوسف
سبط رسول الله . ياصاح . ينتمي
له السبق في التصنيف والفهم والحجا
فبادر لما قد صاغه من جواهر
وتبصر حسنا لم ير الناس مثله
حوى من لطيف العلم سر لبابه
فليس يرى في ذاك الفن مثله
حماه إله العرش من كل محنة
مع الأهل والإخوان والصحب كلهم
تمسك بآثار النبي وصحبه
عليك صلاة الله ثم سلام

ويطمع في أعلى مقام ورفعة
تنل كل ما ترجوه من كل بغية
هو الأصل في مشروع كل قضية
وحجة ياصاح . اقطع حجة
ولهو عماد الدين عند الحقيقة
وغاصوا بذاك البحر أعظم لجة
ودرو ياقوت وكل ذخيرة
فبادر لتاليف الارضى المتثبت
وقد خصه المولى بأزكى سجية
سليل الكرام الصالحين الأئمة
به حاز ما قد نال من خير رتبة
ومعرفة الإتقان من كل وجهة
تنل كل ما ترجوه من كل بغية
وتدرك أسرار على قدر لحظة
وضمنه من كل خير وحكمة
فهو اذن للخلق أعظم عدة
وأعطاه ما قدرام من كل منية
وأسكنهم أعلى قصور بجنة
فذاك هو المقصود فإنهم لنكتة
متى رنت الأطيار في كل دوحة

أولوا العزم من الرسل

موسى عليه السلام

■ الأستاذة: نبوية الناصري

وقف موسى أمام البحر، وبدأ جيش الفرعون يقترب، وامتلأ قوم موسى بالرعب، وفي اللحظة الأخيرة يجيء الوحي من عند الله: (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) سورة الشعراء/الآية:63، والطود هو الجبل العظيم.

وصل فرعون إلى البحر، شاهد هذه المعجزة: في البحر طريق يابس يشقه نصفين، فأمر جيشه مع ذلك بالتقدم. وحين انتهى موسى من عبور البحر، أوحى الله إلى موسى أن يترك البحر على حاله قال تعالى (واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون) سورة الدخان/الآية:24. فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف البحر، حتى أصدر الله أمره فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه فأغرقتهم جميعا. ولما عاين فرعون الغرق، ولم يعد يملك النجاة، جاء في قوله تعالى: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين) سورة يونس/الآية:90، واقتضت حكمة الله أن تنجيه بجسده لتجعله آية للأمم الآتية بما ارتكب من ظلم وفساد.

قال تعالى في سورة يونس: (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية، وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) الآيتان: 9291.

وعن عذاب آل فرعون جاء في قوله تعالى: (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وإذ يتحاجون في النار، فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا، فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار، قال الذين استكبروا إنا كل فيها، إن الله قد حكم بين العباد)سورة غافر/الآيات:48.47.46.

سمعت بنو إسرائيل هدير البحر فسألوا موسى عن ذلك، فقال لهم إن الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا، فلم يصدق بنو إسرائيل ذلك وقالوا لموسى: إن فرعون لا يموت. فأمر الله تعالى البحر فألقى جثته على شاطئه الشرقي الواقفين عليه حتى يروها ويصدقوا هلاك فرعون.

بنو إسرائيل بعد نجاتهم:

غرق فرعون أمام عيون المصريين وبني إسرائيل، ورغم موته، فقد ظل أثره باقيا في نفوسهم من الصعب على سنوات القهر الطويلة والذل المكثف أن تمر على نفوس الناس مر الكرام. لقد صنع فرعون في نفوس بني إسرائيل ذلا لغير الله، هزم أرواحهم فانطووا شأن المهزومين على الإعجاب بمن هزمهم. أفسد فطرتهم فعذبوا سيدنا موسى عذابا شديدا بالعناد والجهل.

كان أول مافعله معهم أن كون فرقتين كبيرتين جعلهما جيشا لبني إسرائيل وبعث بهما إلى مدائن مصر وهي يومئذ خالية من قادتها الذين أهلكوا، فحملوا من كنوزها وأموالها ما طاقت به حمولهم قال تعالى: (كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوما آخرين) سورة الدخان/الآيات:28.27.26.25.

بعد ذلك توجه موسى بمن معه إلى صحراء سيناء وفي سهولها أمره الله بالمعجزات المنقذة لهم، وكان موسى قد أوعد بني إسرائيل أن يأتيهم على إثر خروجهم من مصر بتعاليم الله التي تبين لهم الحلال من الحرام.

طلب بني إسرائيل إلها لهم من الأصنام يعبدونه من دون الله:

كانت معجزة شق البحر لم تزل طرية في أذهانهم، حين مروا على قوم يعبدون الأصنام، وبدلا من أن يظهروا استيائهم لهذا الظلم للعقل، ويحمدوا الله أن هداهم للإيمان التفتوا إلى موسى وطلبوا منه أن يجعل لهم إلها يعبدونه مثل هؤلاء الناس. أدركتهم الغيرة لمرأى الأصنام، ورغبوا في مثلها، وعاودهم الحنين لأيام الشرك القديمة التي عاشوها في ظل فرعون، واستلفتهم موسى إلى جهلهم هذا. قال عز وجل في سورة الأعراف: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون، قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين).

لم يكن القوم على استعداد للمهمة الكبرى: مهمة الخلافة في الأرض بدين الله، وكان الاختيار الأول أكبر دليل على ذلك. فما أن رأوا قوما يعبدون صنما، حتى اهتزت عقيدة التوحيد في نفوسهم، وطلبوا من موسى أن يجعل لهم وثنا يعبدونه، فكان لابد من رسالة مفصلة لتربية هذه الأمة وإعدادها لما هي مقبلة عليه. من أجل هذه الرسالة كانت مواعدة الله لعبده موسى ليلقاه وليتهيء لذلك الموقف العظيم.

مطالب بني إسرائيل الأخرى:

لما نزل بنو إسرائيل إلى سهول شبه جزيرة سيناء، وجدوها صحراء قاحلة فشكوا إلى موسى مايلقون من العناء، فاتجه موسى إلى ربه يسأله الماء، قال تعالى في سورة الأعراف: (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام)الآية:160.

والإثنى عشر عينا إنما كانت نسبة لذرية كل ولد من أبناء إسرائيل الإثنى عشر أي أبناء سيدنا يعقوب الملقب بإسرائيل في القرآن الكريم. وتوجد هذه العيون بالبر الشرقي غير بعيدة عن مدينة السويس، وهي شهيرة "بعيون موسى" وقل اليوم ماء هذه العيون وبعضها طمست آثاره.

ثم اشتكوا مرة أخرى أن يطعموا، فسأل موسى لهم ذلك، قال تعالى :(وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الآية160/سورة الأعراف. كانت المن مادة تتزهر على أوراق بعض الأشجار مثل الطرفاء حلوة شهية، أما السلوى فكانت هي طائر السماني يأتي إليهم أسرابا متلاحقة فيقتاتوا منه.

ذهاب موسى لميقات ربه:

كان موسى قد وعد بني إسرائيل وهو بمصر أنهم إذا خرجوا منها سيأتيهم من الله بكتاب مقدس يبين لهم ما يأتون ومايذرون. فلما قضي الله أمره قالوا . ياموسى إئتنا بالكتاب الذي وعدتنا به. فسأل موسى ربه فأمره الله بأن يذهب لميقات ربه في سفح جبل الطور الأيمن حيث كلمه الله أول مرة، ويعتكف ليعد نفسه للأمر العظيم. قال تعالى : (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين) سورة الأعراف/الآية:142 .قال المفسرون: صام موسى عليه السلام الثلاثين ليلة وطواها وكانت هي أيام شهر ذي القعدة، فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة، فأمره الله تعالى أن يكمل العشرة أربعين، ولما أتمها صعد فوق الجبل في انتظار مخاطبة الله.

مخاطبة الله لموسى عليه السلام:

سمع موسى صوت الله يخاطبه . فابتهل إلى ربه يقول: جاء في سورة الأعراف: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك) فأجاب الله تعالى موسى بقوله: (لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) سورة الأعراف/الآية:143، فرد الله تعالى مجيبا: (قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلمتي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) سورة الأعراف/الآية:144.

ثم يبين الله تعالى مضمون الرسالة: (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء، فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين)سورة الأعراف/الآية:145. وقد اختلف المفسرون في عدد الألواح أنما غايتها في بيان شريعة الله والتوجيهات المطلوبة لإصلاح حال هذه الأمة وطبيعتها التي أفسدها الذل وطول الأمد.

عبادة بني إسرائيل العجل:

انتهى ميقات موسى مع ربه تعالى، لم يكن في الوجود كله إنسان في مثل رضاه، لكنه يعلم من ربه أنباء تسوءه فينقلب إلى قومه غضبان أسفا. قال تعالى في سورة طه: (وما أعجلك عن قومك ياموسى، قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربي لترضى، قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا).الآيات:85.84.83.

■ محمد الخضر الريسوني

اليمين المسيحي المتطرف يهدد بلاد المسلمين بالاحتلال

إن ظاهرة اليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تمثل خطرا كبيرا على موازين القوى في العالم ، وعلاقات الشعوب ببعضها ، وآمال هذه الشعوب في منظمة الأمم المتحدة كهيئة تحرص على حفظ السلام والشرعية الدولية وحقوق الإنسان.وعن هذا اليمين المتطرف انبثق تنظيم الصقور الذي أعلن الحرب على العراق بدون مبرر ولا قانون يسانده في عدوانه وينصحه لوبي صهيوني نافذ ، وفي أحد المؤتمرات الخاصة بالمنظمات الصهيونية قام المبشر المسيحي المعروف " غاري باور" فادعى بأن الله قد اختار أرض فلسطين لتكون وطنا للصهاينة وأنهم شعب الله المختار ، والمسيح المنقذ للعالم سيكون منهم».

فإذن مع وجود هذه الظاهرة ، واستفحالها ندرك سبب اصرار الإدارة الأمريكية على الحرب ضد العراق وصمتها الأخرس على ما يحدث في الأرض الفلسطينية من مجازر ومذابح تستهدف إبادة شعب بكامله والقضاء على بنيته وهويته ، مع أن هذه الإدارة تعلم ان المسلمين يرتبطون وجدانيا لا انفكاك منه بالمسجد الأقصى الذي كان أول قبلة صلى إليها المسلمون، فهل يعتبر هذا الخطر الماحق بالمسلمين من طرف الصهيونية واليمين المسيحي المتطرف هو بداية الصراع ما بين الاسلام والاستعمار الجديد؟ إن أصواتا متطرفة ترفع عقيرتها وتسلك سبيل التحريف والتشويه للقرآن الكريم والطعن في مصدره ، وكذلك الطعن والتشكيك في السنة المطهرة وصحتها ، وامتد التشويه إلى نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأصوات صوت المستشرق البريطاني " وليم موير" الذي قال : إن محمداً والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا ضد الحضارة والحرية الحقيقية.

في الغرب وفي أمريكا بالخصوص يشيدون ويؤسسون مآت المراكز والأقسام المستقلة للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية ، وفي القارة الأمريكية وحدها حوالي عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات الشرقية عامة ومنها حوالي مائة مركزا خاصا بالعالم الإسلامي ، وأنه منذ مائة وخمسين عاما وحتى الآن يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، ويصدر المستشرقون ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات ، وماهذا كله في الواقع إلا خطة وهدف تحايلي لتهيئة الرأي العام لقبول الغزو الاستعماري والاقتصادي والثقافي، ولدراسة أحوال العالم الإسلامي وكل ما يتعلق بشؤونه ليساعدهم ذلك على السيطرة والاحتلال وبسط النفوذ من جهة أخرى. وقد أصبحوا يفرضون على المسلمين الخروج على ثوابت الإسلام مع توعدهم لعلماء الدين إن اعترضوا على ما يفرض علينا من توصيات مؤتمرات المرأة العالمية بسن قوانين دولية تطبق على الجميع، وخاصة القوانين التي تسمح بالانفلات الجنسي تحت اسم « الصحة الجسدية" أو " الصحة الجنسية"

لقد وقف يوما أحد المسيحيين المتطرفين قبل حوالي قرن من الزمن ليعلن أمام مجلس العموم البريطاني وقد امسك بيمينه كتاب الله عز وجل وصاح في أعضاء البرلمان قائلا: ان العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلا ، بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق وقال :" هذه الكعبة"

إن خطر اليمين المتوحش قادم، ومعه كل أدوات الفتك والقتل والتدمير كما هو حاصل اليوم في العراق وفي فلسطين، ولدرئه على بلاد المسلمين مطلوب منهم الوحدة والاعتصام بحبل الله وكتابه المبين ، وإلا فأرضهم ودورهم معرضة للاستعمار والاحتلال من جديد.

■ مازلنا مع الفرق الضالة ، واعتمدنا في هذا الغرض وسابقيه على كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف».

– ونلتقي معه في هذه الحلقة مع فرقة أخرى ، لا تقل خطرا عن سابقتيها الماسونية والبهائية.

– هذه الفرقة الثالثة في هذه الحلقة هي العلمانية نسبة إلى العلم أو العالم وهي ترجمة لكلمة« لاييك» وتعني لا دينية ، وهو مذهب اعتنقه جماعة في أوروبا في مقابل ما كان سائدا فيها في العصور المظلمة التي تسلط فيها رجال الدين على كل نشاط في أي ميدان مما تسبب عنه ركود وتخلف حضاري بالنسبة إلى ماكان موجودا عند المسلمين من تقدم في كل المجالات.

– فكان معتنقو هذا المذهب في أول الأمر في القرنين 17 و 18 قد وقفوا من الدين موقف عدم المبالاة به ، وتركوا سلطانه يعيش في دائرة خاصة واكتفوا بفصله عن الدولة ، ومن أشهر هؤلاء «توماس هوبز» المتوفي سنة 1679 وجون لوك» توفي سنة 1704 الأنجليز بين ،« ليبنز» الألماني المتوفى سنة 1716 و« جان جاك روسو» الفرنسي المتوفى سنة 1778.

وفي القرن التاسع عشر كانت المواجهة العنيفة بين العلمانية والدين، وذلك لتغلغل المادية في نفوس كثير ممن فتنوا بالعلم التجريبي ، إلى حد أنكروا فيه الأديان وماجاءت به من أفكار، واتهموها بتهم كثيرة كرد فعل للمعاناة التي عانوها من رجال الدين وسلطانهم في زمن التخلف الذي نسبوه إلى الدين، ذلك الدين الذي كان من وضع من تولوا أمره، والدين الحق المنزل من عند الله برىء منه.

– ومن أشهر هؤلاء المهاجمين « كال ماركس» الألماني المتوفي سنة 1883 و« فريديريك أنجلز» الألماني المتوفي سنة 1895 و « فلا ديمير أوليانوف لينين» الروسي

العلمانية

الحلقة الثالثة

■ إعداد الأستاذ: محمد الشرقاوي

المتوفى سنة 1924. هؤلاء لم يقبلوا أن تكون هناك سلطة ثانية أبدا ، حتى ولو لم تتدخل في شؤون الدولة لحد قول أحدهم «الدين أفيون الشعوب».

– إن العلمانية بهذا المفهوم ، وهو عدم المبالاة بالدين، يأباها الإسلام ، الذي هو من عند الله، وليس من وضع البشر، فهو منزه عن كل العيوب والمآخذ التي وجدت في الأديان الأخرى التي لعبت فيها الأصابع وحرفتها عن حقيقتها.

ذلك لأنه دين الإصلاح الشامل الذي ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بالجتمع الذي يعيش فيه، ويوفر له السعادة في الدنيا والآخرة، فهو دين ودولة ، أو دين ودنيا أو عبادة وقيادة ، ومن مظاهر ذلك:

1 – عقائد الإسلام ليست فيها خرافات ولا أباطيل ، فهو يقدس العقل ويأمر بتحكيمه.

2 – الإسلام ليس منغلقا على معلومات معينة يتلقاها بنصها من الوحي بل هو دين منفتح على كل المعارف والعلوم مادامت تقوم على حقائق وتستهدف الخير.

3 – الإسلام يمقت الرهبنة التي تعطل مصالح الدنيا ، ويجعل النشاط الذي يبذل لتحقيق هذه المصالح في منزلة علية، لأنه جهاد في سبيل الله.. فهو دين يعمل للدنيا والآخرة معا.

4 – الإسلام يقرر أن السلوك الاجتماعي مقياس لقبول العبادة ، فمن لم تثمر عبادته بمفهومها الخاص من العلاقة بين العبد وربه، استقالة في السلوك، فهي عبادة مرفوضة لا يقبلها الله.

5 – الاسلام ليس فيه كهنوت يتحكم فيه بعض من الناس في مصائر الناس بإدخالهم الجنة أو حرمانهم منها على اعتبارات خاصة . فمدار ذلك على العقيدة الخالصة والعمل الصالح. وليس المشتغلون بعلوم الدين إلا معلمين ومرشدين ، والأمر متروك بعد ذلك لمن شاء أن يستفيد أولايستفيد بالتطبيق. وقد يكون المتعلم أقرب إلى الله من معلمه، بالتزام الطريق المستقيم الذي رسمه الله لهم جميعا، مادامت العبادة لله وحده الذي يقبل منها ما يشاء .

6 الإسلام ليس فيه سلطة مقدسة مستمرة من سلطة الله، وليس في البشر من هو معصوم من الخطأ ، إلا من اصطفاه الله لرسالته ، والحكم من ذوي السلطان ليس لذواتهم ، بل الحكم للدين أولا وآخرا ، فكل شيء فيه اختلاف رأي يرد إلى الله وإلى الرسول ، أي الكتاب والسنة.

7 – مبادىء الشريعة تستهدف تحقيق المصلحة ، فإذا لم يوجد نص واضح في أمر تعددت فيه وجهات النظر ، وكان يحقق المصلحة العامة ، كان مشروعا، وبخاصة في أمور الدنيا فالناس أعلم بشؤون دنياهم.

8 – الإسلام دين تقدم وتطور وحضارة ، ليس جامدا ولا متمسكا بالقديم على علاته، فهو ينهى عن التبعية المطلقة في الفكر أو السلوك الذي يظهر بطلانه ، بل يقرر أن الله يبعث مجددين على رأس كل قرن، يوضحون للناس مابهم، ويصححون لهم ما أخطأوا فيه، ويوائمون بين الدين والحياة فيما تسمح به المؤائمة، لأنه دين صالح لكن زمان ومكان ، ومن مبادئ التربية المأثورة عن السلف:

« لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم ، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانهم » والمراد بالأخلاق العادات التي تقبل التغيير ، أما أصول الأخلاق فثابتة.

– بهذا وبغيره ، نرى أن الإسلام يرفض العلمانية ، وأن المسلمين ليسوا في حاجة إليها ، وإنما هم في حاجة إلى فهم دينهم فهما صحيحا، وتطبيقه تطبيقا سليما، كما فهمه الأولون وطبقوه فكانوا أساتذة العالم في كل فنون الحضارة والمدنية الصحيحة.

وضعف المسلمين وتأخرهم ناتجان عن الجهل بحقائق الدين ، وبالتالي عدم العمل بما جاءء به من هدي. وبالجهل قلدوا غيرهم في مظاهر حضارتهم، وآمنوا بالمبادئ التي انطلقوا منها دون عرضها على مبادئ الإسلام ، لأنهم لا يعرفون عنها إلا قليل.

ولئن رأينا بعض دول الإسلام الآن قد نقلوا معارف غيرهم ممن يدينون بالعلمانية ، فليس ذلك دليلا على أنهم آمنوا بما آمنوا به، فذلك للاستفادة من نتائج علم غيرهم وخبرتهم فيما يقوي شوكة المسلمين ويدفع السوء عنهم . والتعاون في المصالح أمر تفرضه طبيعة الوجود وهو مشاهد في كل العصور على الرغم من اختلاف العقائد والأديان.

بتصرف من كتاب بيان للناس

نفحات من نسماته القدسية محمد رسول الله، والذين معه..

■ إعداد الأستاذ: أبو يس عبد الرحمن

بماذا رباهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. ؟

– رباهم بنظافة جسمه، وقد حدث عنه خادمه وملازمه سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه :« ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولاشيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وعن سيدنا جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مسح خده، قال: فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار (سُلَيْلَة مستديرة مغشاة بالجلد يحفظ فيها العطار الطيب) قال غيره: مسَّها بطيب أم لم يمسها، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف بين الصبيان بريحها .. (الشفا) .

– رباهم بوفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

–لقد صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى الإسلام..

– صارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

– قال عنه أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في مشيته ، كأنما الأرض تطوى له. إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث.

– كان ضحكه تبسما ، وإذا التفت التفت معا ، وإذا مشى مشى تقلُّعًا (لم يبطئ ولم يعجل).

– كان كلامه سَلْسًا بالطبع وكان بارع المنزع (أي كلامه دائما يصيب هدفه) ناصع اللفظ، جزل القول (كلامه فصيح قوي جامع) صحيح المعاني.

ومن جوامع كلمه التي لا توازى ولا تبارى: « المسلمون تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

– الناس كأسنان المشط .

– لا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له.

– الناس معادن .

– المرء مع من أحب.

– وما هلك امرؤ عرف قدره .

– المستشار مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم .

– ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم.

– أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين.

– إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون.

– ذو الوجهين لايكون عند الله وجيها.

– اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن.

– خير الأمور أوسطها.

– الظلم ظلمات يوم القيامة.

(الشفا)

– كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ ، وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن ، كما أن كثرة النوم دليل على الضعف.. وعلى الإقلال من الأكل والشرب والنوم إلا للضرورة والكفاية . ربى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من معه: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسبُ ابن آدم أكلاتٌ يُقمن صلبه، فإن كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ".

عن عائشة رضي الله عنها : لم يمتلئ جوف النبي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم شبعا قط. وإنه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولايتشهاه، إن أطعموه أكل، وما أطعموه قبلَ وما سَقَوْهُ شرب.

– وفي الصحيح:« أما أنا فلا آكل متكئا، والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له، بل كان جلوسه للأكل جلوس المستوفر مقعيا، ويقول : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد. (الشفا).

– أما نومه فكان قليلا كما شهدت به الآثار الصحيحة وهو ما أمر به في القرآن:« قم الليل إلا قليلا ....».

إن عيني تنامان ولا ينام قلبي.

وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم.

في النهي عن سب آلهة الكفار سدا للذريعة

■ إعداد الدكتور: محمد حمان

■ يقول سبحانه : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم، ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون».

يقول ابن العربي : « فيها مسألتان : المسألة الأولى . اتفق العلماء على أن معنى الآية : لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلاهكم.. وكذلك هو، فإن السب في غير الحجة فعل الأدنياء ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الرجل يسب أبويه، قيل يارسول الله ، فكيف يسب أبويه؟ قال يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه، فمنع الله في كتابه أحدا أن يفعل فعلا جائزا يؤدي إلى محظور، ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذا الآية في سد الذرائع، وهو كل عقد جائز في الظاهر يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محظور، وسترى هذه المسألة مستوفاة في سورة الأعراف، وقد قيل: إن المشركين قالوا لئن لم تنته عن سب آلهتنا لنسبن إلاهكم ، وأنزل الله تعالى هذه الآية. المسألة الثانية. هذا يدل على أن للمحق أن يكف عن حق يكون له إذا أدى ذلك إلى ضرر يكون في الدين، وهذا فيه نظر طويل ، اختصاره أن الحق إذا كان واجبا فيأخذه بكل حال، وإن كان جائزا ففيه يكون هذا القول والله أعلم».

يختلف موضوع هذا النموذج عن موضوع النموذج الأول ، ذلك أن هذا يرتكز على النهي عما لا ينبغي ولا يجوز، وذاك يرتكز على الأمر بالجهاد، ومن المفارقات بينهما كذلك اشتمال هذا الأخير على ما يرمز إلى مسألة أصولية تعرف بين العاملين بها من الأصوليين بسد الذرائع.

عندما نتأمل أقوال ابن العربي في شرحه وتفسيره لهذا النص نجده لا يرتكز على البحث اللغوي كما عادته ، وإنما يذهب توا إلى المعنى العام المستفاد من الآية الكريمة ، حيث يسير مع الجمهورمن الفقهاء والمفسرين على اعتبار أن المقصود منها نهي المسلمين عن سب وشتم ما يعبده غيرهم ، وإن كان ذلك ضلالا في واقع الأمر، حتى لا يفسحوا المجال لهذا الغير أن يسب ويشتم الله رب العالمين.

وتأييدا لما ذهب إليه المؤلف تبعا للجمهور نراه يعزز ذلك بالأدلة والحجج العقلية والنقلية، إذ يتبين بالمنطق العقلي أن اشتغال بعض المؤمنين بمثل هذا الأمر ليس بمعقول، وهو في رأيه ينقص من قيمة صاحبه، وفي ميدان النقل يأتي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كدليل نقلي يدعم به رأيه ورأي جمهور العلماء والفقهاء السابقين عليه والمعاصرين له، ومفاده أن المرء قد يتسبب في شتم أبويه بشتمه لآباء الآخرين.

وحتى يبين لنا مؤلفنا أن ليست العبرة بالنتائج دون مراعاة الوسائل يرشدنا إلى أن هناك أفعالا جائزة في حد ذاتها، ولكن جاء النهي عنها في القرآن باعتبارها وسائل موصلة إلى مالا تبيجه شريعة الإسلام ، وهو ما يعرف في أصول الفقه بسد الذرائع الذي يعتمده المالكية أكثر من غيرهم.

وتشبثا من المؤلف بمالكيته نجده يقف إلى جانب المنتسبين والخادمين للمذهب ويعتبرهم محقين في جعلهم سد الذرائع من الأصول المعتمدة في الاستنباط الفقهي ، وهذه الآية في نظره خير شاهد ومؤيد لهم فيما ذهبوا إليه في اعتمادهم لهذا الأصل لاستنباط الأحكام الفقهية كباقي الأصول الأخرى.

واهتماما من ابن العربي بسد الذرائع يتصدى لتعريفنا بالمراد من هذا الأصل فيبين أنه يعم جميع الأمور المباحة في حدذاتها ، ولكنها قد تؤدي في نهاية المطاف إلى ماهو ممنوع شرعا، وهو إذ يوجز الكلام في بيانه للذرائع هنا يتعهد بزيادة إيضاحها الإيضاح المطلوب في الأعراف.

وإحاطة من مؤلفنا بالجوانب المهمة للآية الكريمة، وسعيا منه لإدراك معانيها الدقيقة يخصص جزاء من بحثه حولها لبيان سبب نزولها ، فيذكر قولة الكفار التي تفيد أنهم سيشتمون رب هذا الكون الذي يعبده المسلمون إن هم شتموا معبوداتهم، فينزل الوحي بالنهي عن سب هذه المعبودات الباطلة حتى لا يؤدي ذلك إلى سب الإله الحق.

وإجابة على سؤال فقهي متوقع هنا حول طلب الحق وعدم طلبه، يبدي مؤلفنا وجهة نظره مفرقا بين ماهو مطلوب وجوبا وماهو مطلوب جوازا، ومعلنا بأن المطلوب على وجه الإلزام لابد من فعله ولا سبيل إلى تركه، والمطلوب على وجه الجواز ينظر فيما يؤدي إليه من نتائج، وعلى ضوئها يمكن الفعل أو الترك ، وبهذه الإجابة حسم الموقف.

إطلالة على دوريات الوثائق

إعداد الأستاذ: عبد الحق عزابي

■ رغم ما تعرض له أرشيفنا المغربي كباقي الأقطار العربية خلال ردح من الزمن من تخلف واهمال وضياع وماأقدم عليه المستعمر من نهب لتراثنا وأودعوه في متاحفهم ومكتباتهم فإن المغرب ولله الحمد عريق بتاريخه وما زال يتوفر على أرصدة من الوثائق نعتز بها وبكثرة عددها.

ومن المنطق قبل التحدث عن دوريات " الوثائق" يستحب التعريف ولو بعجالة عن المؤسسة الثقافية الصادرة عنها هذه الموسوعة وهي مديرية الوثائق الملكية التي أنشأها جلالة الملك العالم الحسن الثاني رحمه الله وجعل على رأسها الأستاذ السيد عبد الوهاب بن منصور وذلك سنة 1975وهي مديرية تابعة للقصر الملكي معتمدة بالدرجة الأولى على رفد ومدد جلالة الملك محمد السادس حفظه الله خير خلف لخير سلف.

ومنذ نشأة المديرية عمل موظفوها بتفان وصمت ونكران ذات على جمع الوثائق التي كانت محفوظة بالقصور الملكية كما تم تصوير الوثائق الأخرى المحفوظة في مؤسسات حكومية أو لدى أسر تاريخية فضلت الاحتفاظ بأصولها أو أهدت البعض منها أصلا، كما حاولت المديرية الاتصال بالمؤسسات الثقافية لدول كانت لها علاقات قديمة بالدولة المغربية لتصوير الأجزاء الخاصة بالمغرب في أرشيفاتها ومن الأمانة العلمية أن أذكر هنا الأستاذ عبد الوهاب بن منصور وأشكره باسم الغيورين عن تاريخ بلدهم على ما قام به في هذا المضمار ، ففي رحلاته بمعية جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني أو في رحلات نظمها خصيصا لذلك استطاع عبر اتصالاته الشخصية بتصوير المئات من الوثائق المتعلقة بتاريخ المغرب كما اتفق مع مؤسسة المصلحة الدولية للميكرو فيلم بفرنسا على استنساخ أكثر من 196000 وثيقة عن طريق الميكروفيلم فتمت حيازتها فعلا.

وكلما دخلت وثائق جديدة أو مستندات حرص شديد الحرص مع موظيفه على ترميمها ونسخها إذا كانت تحتاج لذلك فتحقق تواريخها بالهجري أو الميلادي لترتب ترتيبا كرونولوجيا (تاريخيا) قبل أن ترتب موضوعيا كما تضم الوثائق الوطنية إلى اشباهها من الوثائق الأجنبية المتعلقة بالموضوع الواحد، وبهذا العمل الدؤوب والاجتهاد المتواصل أصبحت المديرية تتوفر على أزيد من مليون وثيقة حسب الجرد الأخير الذي أشرف عليه مديرها.

كما تعتز المديرية بما أنجز من رسائل وأطروحات انطلاقا من وثائقها وتتمنى عودة قريبة لهؤلاء الباحثين لإتمام مابدأوه من أبحاث ودراسات.

بعد هذا التعريف الموجز بالمديرية والعمل بها أعود لا طلالة على دوريات"الوثائق" التي شرع الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور في إصدارها سنة 1976. فنشر فيها منتخبات مختارة من وثائقها ومستنداتها سواء كانت مغربية أو أجنبية، وهذه المجلة التي صدر منها لحد الآن عشر مجموعات اصبحت محط أنظار وترقب الباحثين والدارسين من داخل المغرب وخارجه لصدورها وكذا وزارات وجامعات ومؤسسات عديدة تكاتب المديرية باستمرار للحصول عليها مع العلم أن المديرية ترسلها إليهم هي وباقي مطبوعاتها بالمجان.

فلنعد لنطل على هذه السلسلة عبر عددها الأول مبتدئين بطريقة الفهرسة، كانت فهرستها مقتصرة على فهارس للوثائق وفهارس مبوبة، والمتتبع لهذه السلسلة الوثائقية يلمس أن الأعداد الموالية للعدد الأول طرأ عليها تغيير ملحوظ فبدأ الاهتمام بفهارس المدن والقرى والأماكن والرجال والنساء والشعوب والقبائل مع التعريف بمصطلحات إدارية مغربية وعبارات عامية وأجنبية ترد في المجموعات الكاملة وهنا يكمن الحس الوثائقي والعلمي لصاحب هذا المشروع الأكاديمي.

ومن خلال هذا الاستقراء نلاحظ أن الوثائق الصادرة عن هذه المجموعات وصل لحد الآن إلى 1275 وثيقة أقدمها رسالة لموسى بن نصير مؤرخة في عام 97 هـ بمعني أن الوثائق المحفوظة بالمديرية يرجع تاريخها إلى ثلاثة عشر قرنا وسبعة وعشرين سنة ولعل أقدم وثيقة محفوظة بالمديرية ترجع إلى ماقبل ذلك بثلاث سنوات.

إن مجلة الوثائق أصبحت مرجعا لا يستغني عنها باحث ولا دارس من الداخل والخارج لما تحويه من وثائق لعهود غابرة كالمعاهدة بين عرب قيس وبربر زناتة الممضاة سنة 80هـ ودخول الأدارسة للمغرب كما نشرت وثائق حسب أهميتها التاريخية كظهائر ورسائل السلاطين والوزراء والسفراء والقناصل والعمال والقضاة والأمناء ممهورة بإمضاءاتهم ويعود تاريخها لبني أمية والأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين ونخب من اتفاقيات تتعلق بالحدود هذا بالنسبة للعدد الأول أما العدد الثاني فغالبه نخب من المعاهدات والاتفاقيات كذلك تتعلق بالحدود مع وثائق ماقبل معركة تطوان وبيعات أهل المدن المغربية للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ونشأة الطباعة بالمغرب.

أما الجزء الثالث فقد انصب الاهتمام فيه على وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ونماذج من رسائل التعازي ومبايعة ابنه السلطان مولاي الحسن مدعما بنصوص البيعات ونماذج من القضايا التي كانت تعالجها الحكومة والإدارة في السنوات الأولى للعهد الحسني وفتنة فاس أو عيطة ابن المدني بنيس وظهائر سلطانية عديدة تتعلق بالتوقير والاحترام أو التعيينات.

وابتداءا من الجزء الرابع إلى غاية الجزء العاشر اهتم الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور بالجانب الدبلوماسي باعتباره المرآة التي تعكس حقيقة تقدم أو تخلف أي بلد فانصب اهتمامه بالخصوص على نظام الحماية القنصلية وتوسع في تحليل مفهومها ثم نشأتها وظهورها بالمغرب وانعكاساتها ومنتخبات من المعاهدات والاتفاقيات المبرمة في هذا الشأن مع الإشارة لمصادرها والتعريف برجالات المغرب والدول الأجنبية الذين عايشوا هذه الأحداث ولابأس من ذكر بعضهم كمحمد بركاش نائب السلطان في الشؤون الخارجية والسفير إدريس بن محمد بن ادريس العمراوي على عهد السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمن والسيرجون هاي دريموند هاي ممثل بريطانيا العظمى بالمغرب مدة تقرب من نصف قرن والسيد بيكلاد الوزير المفوض لفرنسا بالمغرب واللورد ساليزبوري وزير الخارجية البريطانية وهو صاحب فكرة عقد مؤتمر دولي بمدريد للنظر في قضية الحماية القنصلية بالمغرب كما ركز الأستاذ على مكايد الدول الأجنبية وشطط ممثليها وخيانة اليهود وتحايل التجار الأجانب وغيرهم وطغيان المحميين والمخالطين.

لايمكن التحدث عن هذه الموسوعة الوثائقية دون الإشارة إلى أهم وأعمق شيء يميزها وهو التقديم لتلكم الوثائق والقارئ المحلل يلحظ شيئا واحد في المجموعات العشر نفس ودقة صاحبها بما حباه الله من استيعاب للمحيط التاريخي والأدبي والعلمي يسهل على الباحث والدارس الافادة منها بسرعة دون كلل أو ملل.

لقد عنونت المقالة بـ: إطلالة على دوريات الوثائق لأنني لا أستطيع في هذه العجالة أن أدعي أنني قمت بجرد شامل لجميع ما اشتملت عليه المجموعات العشر بل هو غيض من فيض لان قراءة هذه الموسوعة والتعريف بمحتواها يحتاج لشهور عديدة فكفى صاحبها فخرا ومجدا بهذا الأثر الخالد الذي سيبقى من أهم مراجع التاريخ المغربي مخلدا ذكره وجهده الذي لا يفي بشكره لسان ولا بتقرير وتقييم عمله قلم.

الإسلام دين التسامح

■ إعداد الأستاذ: حسن اللويزي

الحلقة الثانية

■ من المعلوم أن النصرانية واليهودية لم تعرف مبدأ التسامح الشامل في كافة تصرفاتها، فهم يتصورون أن الناس أعداء لنرب وأنهم وحدهم شعب الله المختار المفضل على سائر البشر، وأن الناس خدم ورعايا لهم، وأخبارهم في التاريخ حبلى بالمكايد والمكر والخديعة والإساءة والبخل والإنحراف عن شرع الله، فارتكبوا المجازرالجماعية والفردية.

ولم يحصل في تاريخ الإسلام أن المسلمين أقاموا المذابح وطردوا السكان وارتكبوا أعمال القسوة في حق الشعوب والبلدان التي فتحوها، بل كانت فتوحاتهم شريفة وحروبهم نقية.

إن نشر الإسلام مستقل عن الفتوحات الإسلامية الموجهة للحكومات الضالة الكافرة المتحكمة في رقاب الناس فحالت بينهم وبين الطريق المستقيم لاختيار الإسلام بعد فهم مبادئه وعن قناعة واختيار لقوله عز وجل: وقاتلوهم حتى لايكون فتنة ويكون الدين كله لله. الأنفال:39، وقال : أذن للذين يقاتلن بأنهم ظلموا.. الآية الحج:38. فلم يجد الإسلام بدا ومحيصا عن المقابلة بالمثل ومواجهة الواقفين أمام سلب حرية الناس.

فحمل السلاح للسلام إنما هو لمنع المعوقات التي تمنع كلمة الحق أن تصل إلى الآذان لا نشر الإسلام بالقوة، أو لاغتصاب الحريات.

إن الكفار لمكرهم يحملون السلاح لفرض كلمة الباطل ومنعهم من سماع كلمة الحق.

إن حمل الإسلام للسيف عن قناعة لا ليفرض كلمة الحق أو ليمنع كلمة الباطل عن الآذان، إنما لتصل كلمة الحق إلى آذان الناس وتكون الفرصة متساوية بين جميع الناس والحجة على هذه الحقيقة أن كل ما انتشر بالسيف يزول بزوال السيف، والإسلام لم يزل بزوال السيف بل يزداد انتشارا يوما بعد يوم وتعتنقه بعد التبصر به أفواجا وأفواجا، فالإسلام يعامل فئات المجتمع معاملة حسنة فيضمن لهم الأمان التام والحرية الدينية دون مطالبتهم بمقابل إلا الجزية وهي مبلغ زهيد يدفع مقابل قيام المسلمين بهذه الحماية وتوفير الأمن والسلام وبعد ذلك يتمتعون بالحياة التي يريدونها شريطة عدم تدخلهم في شؤون المسلمين أو إثارة الفتن بينهم.

4 ضوابط التسامح في الكتاب والسنة:

دعا الإسلام عبر النصوص القرآنية والحديثية إلى نشر وتطبيق مبادئ التسامح الإسلامي انطلاقا من سيرته (ﷺ).

أ. النصوص القرآنية المؤطرة للتسامح ثلاثة أنواع:

1. نوع يدل على إرادة الله اليسر لهذه الأمة.

2 نوع يدل على نفي الحرج والضيق عن الأمة الإسلامية.

3 نوع ينهى عن الغلو في الدين.

. يقول الله تعالى: "يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر"سورة البقرة/الآية:185.

. ويقول: "لايكلف الله نفسا إلا وسعها"سورة البقرة/الآية:286.

. ويقول : "يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا"سورة النساء/الآية:28.

. ويقول : "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر"سورة البقرة/الاية:17.

. ويقول: "مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون"سورة المائدة/الآية:6.

ب. نفي الحرج:

. ويقول : "مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون"سورة المائدة/الآية:6.

. ويقول: "وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم " سورة الحج/الآية:78.

. ويقول: "ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج"سورة النور/الآية:61.

ج. النهي عن الغلو:

قال تعالى : "ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق"سورة النساء/الآية:171.

وقال : "قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق"سورة المائدة/الآية:77.

ويقول الرسول (ﷺ) "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه" وقال أيضا: "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"، وروى ابن عباس أن النبي (ص) سئل عن أحب الأديان إلى الله فقال: الحنيفية السمحة (خ) وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله (ﷺ):" إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا: رواه البخاري ومسلم.

وفي الأثر : قال سلمان (رضي الله عنه):" إن لنفسك عليك حقا، وإن لزوجك عليكا حقا" فصدقه النبي (ﷺ) وقال أنا أصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" وقال أيضا: "استقيموا ولن تحصوا وأتوا الأعمال ماتطيقون" وقال ابن تيمية رحمه الله: الغلو في الدين المنهي عنه في الحديث عام في جميع أنواع الغلو في الإعتقادات والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد.

وعن أنس (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار"وقال أيضا: أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل"الشيخان، وقال أيضا: "إن الدين يسر ولن شاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا، وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة (م أحمد) وعن عائشة (رضي الله عنها) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : "أيها الناس خذوا من الأعمال ماتطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا،وإن أحب الأعمال أدومها وإن قل"مالك والبخاري ومسلم.

. ويستفاد من النصوص الشرعية المؤطرة للتسامح الخلاصات التالية:

1. إرادة الله جلت قدرته اليسر لهذه الأمة في تشريع الأحكام وتطبيقها، أراد لها اليسر والسهولة والرفق ونفي العسر والشدة والضيق والغلو.

إن أمر هذا ميسر كله، قراءة القرآن ميسرة وحفظه ميسر وفهمه ميسر، وسنة رسول الله (ﷺ) ميسرة التطبيق لأنها لاتخرج عن طبيعة البشرية، وأخلاق هذا الدين ميسرة، وأحكام وعبادته، وخيرات الدنيا والآخرة كلها ميسرة.

2 إن المومنين ميسرون للخير، والخير ميسر لهم تبعا لرسول الله (ﷺ) الذي قال: "لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه"البزار والطبراني.

3 تفضيل هذا الدين على سواه بنفي الحرج عنه وتيسير العمل به والمداومة عليه بامتثاله.

والمراد والغاية من التشريعات ليس هو الإعنات ولا المشقة وإنما هو تكليف للتطهير وإتمام النعمة، وتدل على رفع الحرج عن كل الناس وعن بعضهم ممن وصفوا بأوصاف خاصة تعيقهم عن مقدور الآخرين إضافة إلى الابتعاد عن الغلو الذي هو تجاوز الحد في الشيء.

4 رحمة الله تعالى بالناس وإشفاق النبي (ﷺ) على هذه الأمة وخوف إعناتهم وتعنيتهم والأمر بالطوق من الأعمال، ونبذ التنطع والغلو في جميع مجالات الحياة الدينية والدنيوية والأخذ بالأيسر ولو كان قليلا في نظر الناس.

تعميم الإسلام للسماحة واليسر وعدم الغلو والتشدد بالنسبة لجميع الناس حكاما ومحكومين، قادرين وعاجزين، مسلمين وغير مسلمين، لجميع جوانب هذا الدين، عقائد وأحكاما، عبادات ومعاملات وأخلاق.

(تتمة ص6)

وورد في حاشية سيدي أحمد بلخياط الزكاري على الخرشي على خليل البيتين الآتيين:

ويسألونك عن الكلالة هي انقطاع النسل لا محالة
لاوالد يبقى ولا مولود قد انقطع الأولاد والجدود

وصدق الله العظيم:(وصية من الله والله عليم حليم) سورة النساء/ الآية :12.

أما الطلاق فقد جعله الله في يد الرجل ، لأنه هو الذي يعطي الصداق ، قال تعالى:(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) سورة النساء/ الآية : 24.

والرجل هو الذي يدفع النفقة والمتعة عند الطلاق ، قال تعالى :(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) سورة البقرة /الآية: 241. وقال سبحانه :(وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ...) سورة البقرة / الآية:237.

والخطاب، دائما، موجه للرجال فيما يتعلق بالطلاق ، قال تعالى :(إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة) سورة الطلاق/ الاية":65.

وفي كل ما سقناه من بعض أحكام الإرث وأحكام الطلاق ، ففي ذلك حكمة عظيمة يعلمها الله ويعلمها ذوو الألباب من أهل العلم الدارسين لعلوم الشريعة الإسلامية.

أما ما يروج اليوم عند طائفة من العلمانيين الذين يدعون إلى تسوية مسألة الإرث بين الرجل والمرأة ، ويطالبون بجعل الطلاق بيدها فهؤلاء يريدون أن ينجروا وراء الغرب الذي يسعى لهدم الشريعة الإسلامية ، نقول لهم: إن الإسلام له حماة يدافعون عن ، ولن تستطيعوا أن تغيروا منه شيئا ،، وصدق الله العظيم:(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال سبحانه :((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهوفي الآخرة من الخاسرين)، وقال:(إن الدين عند الله الإسلام) والسلام على من اتبع الهدى.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1019
السنة 36
الجمعة 7 ربيع الاول 1424 هـ
الموافق 9 ماي 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

المقاصد والغايات التي ارتكز عليها سلف الأمة وخلفها من أهل المغرب في اختيار المالكية مذهبا والأشعرية عقيدة

الحلقة الأولى

■ إعداد الأستاذ : محمد حسني
عضو المجلس العلمي / سطات

■ سار سلف الأمة وخلفها في المغرب على اعتناق المذهب المالكي، والأخذ بالعقيدة الأشعرية والسلوك السني.

انطلق هذا المذهب من الحجاز، وانتشر شرقا وغربا في أنحاء العالم الإسلامي. كانت المدينة قاعدة انطلاق لهذا المذهب، وانتقل إلى مصر، واليمن، والعراق، ثم إفريقية (تونس) والمغرب والأندلس . ورغم المعارضات من طرف الفاطميين والأيوبيين، فإن مذهب مالك ظل محافظا على مركزه في الشهرة والذيوع إلى الآن.

استقر المذهب المالكي بتونس والتي كان الغالب فيها مذهب الاحناف إلى أن قدم إليها علي بن زياد المتوفى سنة 183هـ، وأسد بن الفرات المتوفى عام 213هـ وأبو القاسم الراوي وهم تلامذة مالك، ومازال هذا المذهب يستشري وينتشر إلى أن جاء سحنون المتوفى عام 213هـ. وقد ساهم هؤلاء في نشر هذا المذهب على رأسهم علي بن زياد، وتلميذه سحنون . وكان بإفريقية مذاهب أخرى إلى جانب المذهب المالكي : الأحناف، والشافعيين والمذهب الظاهري بالإضافة إلى المذاهب الشيعية والصفرية والإباضية والمعتزلة والأشاعرة وإخوان الصفا وغيرهم من المذاهب.

دعا المعز بن باديس الناس إلى التمسك بمذهب مالك وقطع ماعاداه، واستمر العمل إلى أن دخلت الدولة العثمانية، فانتشر هذا المذهب في صقلية خلال القرن الثالث الهجري، لكن الغالب على أهل هذه المنطقة هو المذهب الحنفي، كما انتشر المذهب المالكي في الأندلس إلى جانب مذهب الإمام الأوزاعي، بالنسبة لدخول هذا المذهب يرى كثير من الفقهاء أنه جاء متأخرا عن المناطق الأخرى، حيث دخل إلى المغرب مع المولى إدريس.

كان المغاربة يدينون بمذاهب مختلفة من حنفية وخارجية ومعتزلة وبورغواطية وغيرها من المذاهب . " تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي" عمر الجيدي ص:25.، لكن الذي ركز المذهب المالكي في المغرب هو المولى إدريس. والذي عمل على نشر الموطأ على نطاق واسع، وكان إدريس يحفظ موطأ مالك. وتدور الروايات حول إدريس أهو الأول أم الثاني؟

كما يرى الكثير من الفقهاء أن دراس بن إسماعيل المتوفى عام 357 هـ كان أول من أدخل مدونة سحنون إلى المغرب، وبواسطته انتشر المذهب المالكي في المغرب وذاع، وكثير من رجال المغرب كما يقول الرواة اتصلوا مباشرة بالإمام مالك ونقلوا عنه، وأوصى الحاضرين منهم أن يأخذوا بشرائع الإسلام ولا يخاصموا أحدا. وتعددت الهجرة من المغرب إلى الحجاز للأخذ مباشرة عن إمام دار الهجرة حيث توجه إليه عناصر من سجلماسة.

فماهي أسباب انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي؟

تمسك الإمام مالك بالسنة الغراء ووقوفه في وجه البدعة والمبتدعين كما تشبه بآثار الصحابة حالا ومقالا، والتابعين مع توفره على مؤهلات الإمامية ، فرأى الفقهاء في مختلف المناطق أنه هو المذهب الأحق بالاتباع والاقتداء، لأنه أقرب إلى روح الشريعة من غيرها من المذاهب الأخرى في بلاد الشام والعراق وغيرهما من الأمصار الأخرى.

كان المذهب المالكي هو المذهب المحبب إلى سائر العلماء وسائر الناس، كما كان مرتكزا على نصوص الكتاب والقياس الواضح . وإذا لم يجد حلا" لمسألة عرضت له قال: " لا أدري"

ويؤكد هذه العالمية في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة).

قال ابن عيينة أنهم اتفقوا على أنه مالك ابن أنس « إن مالك كان ورعا، يتورع عن الذر فما فوقه ، فما رأى الناس أورع من مالك.

وكانوا يقولون :" مالك في العلماء لايصل إليه أو يرقى مقامه أحد إنه كالثريا" كان مأمونا ، ثقة حجة، ورعا، عالما، ثبتا.. وكلها صفات حببته إلى المغاربة ، لأن المغاربة يريدون الأخذ من المنهل الصافي، ولا يريدون الخلاف السفسطائي ، نعم كانت تشد إليه رحال المغاربة ويزورونه ويأخذون عنه فيجدون فيه العالم الأمثل، والثقة الأمجد، والأهل المتفوق في العلم والمعرفة حالا ومقالا وهو العالم والفقيه الفذ المتبث.

وأحبه المغاربة لأنه مذهب عملي يعتد بالواقع ولأنه يأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ، والمغاربة من طبعهم الوقوف مع الوضوح والفطرة والبعد عن النظريات المتطرفة والتأويلات المتكلفة.

فمذهبه ظل نبعا صافيا بعيدا عن التيارات المتلاطمة ، أدرك المغاربة كما أدرك قبلهم مالك أن الخلاف له أثر سيء على الأمم لأنه سبب ولادة التطرف ولذلك ظل ثابتا على الحقيقة بيد من حديد. حيث رفضوا آراء المعتزلة والخوارج والشيعة وغيرها من المذاهب.

إنهم كانوا يكرهون مجالسة أهل الكلام، حيث يجتمع أهل السنة والبدعة والمجوس والكفار والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر ولكل رئيس فرقة رأيه وتأييده لمذهبه. قال أبو عمر عندما شاهد هذه المجالس: " ذهب العلماء ، وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه".

إن المغاربة رفضوا الجدل في العقيدة، والأخذ في الأهواء والملل وعلم الكلام وكانوا لا يأخذون مع الآخرين في القدر.

وتروي المصادر الفقهية فريقا من الكوفيين تناظر مع فريق المغاربة المالكيين فقالوا من أين هؤلاء؟، قالوا من الكوفية أصحاب أبي حنيفة، وقالوا من هؤلاء؟ قالوا: مالكيين فطردوا أصحاب أبي حنيفة.

رأى المغاربة عن معرفة أن المذهب المالكي هو المذهب الذي يدرأ عنهم كلام الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة وغيرها، ولذلك أخذوا به عن قناعة ، لأنه ينظم أحوالهم ويرعى السنة النبوية الشريفة، فهو مذهب أهل السنة وفقه الصحابة، والتابعين، ومصدر هذه السنة هي المدينة التي لها مكانة خاصة، في نفوس المغاربة، لا تعادلها مكانة لأن بها قبر النبي الكريم.

كان المغاربة يبتعدون عن الخلاف، ويأخذون بالاعتدال دون تطرف وقد امتحن سحنون في مسألة خلق القرآن كما امتحن بها أحمد في الشرق.

ففي الأندلس، أدخل أصحاب يحيى بن يحيى الليثي المذهب المالكي وأشاعوه، وحرصوا على نشره بعدما تبين للناس أنه الحق والصواب، وهو الجدير بالاتباع والتقليد هذا بالإضافة إلى قوة رجالات المذهب من الفقهاء، فهم متضلعون في العلوم الشرعية (النقلية والعقلية) ولذلك كانوا أكثر حججا من غيرهم.

كانت مدرسته في إفريقية والأندلس من أقوى المدارس في المملكة الإسلامية وأشدها استمساكا بآرائه واجتهاداته.

كان مالك شديد الميل والتعلق بأهل الغرب، وكان يلقنهم الفقه، وكما ورد أنه ألقى درسا لفرد واحد مغربي ، نظرا لاهتمامه بهم ، كما كان يكاتب البعض منهم ويتتبع أخبارهم وسلوكهم.

وقف المالكية في وجه الأغالبة الذين كانوا يميلون إلى الأحناف ، ولم يقبل المالكية وظيفة القضاء إلا بعد ضغوط من الولاة والسلاطين، وكما كان الفقهاء المالكيون يقاطعون حكم الشيعة حيث كانوا ينظرون إليهم كأنهم طغاة مارقين في الدين، حيث حاول عبيد الله الشيعي أن يرغمهم بقوة السيف، وأراق دماءهم وبالغ في هجومهم ، حيث حاربوا التشيع بقوة، ورد بالناس إلى الاستمساك بالكتاب والسنة الصحيحة ، إذ أسقط الشيعة الرجم عن المحصنين في الزنا، وأحدثوا أمورا في الصلاة لم يألفها المسلمون السنيون مثل: القنوت في صلاة الجمعة قبل الركوع، وسبوا النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه إلا عليا ومقداد بن الأسود وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وذاق فقهاء المالكية الشداد من تعذيب وتصليب وتنكيل ما يندى له الجبين.

فكان الشيعة قد أضافوا (حي) على خير العمل في الأذان وعذب من أجلها المؤذنون الذين امتنعوا عن قولها، وعذب الفقهاء على ترك البسملة في الصلاة ، وامتد التعذيب من الفقهاء إلى العامة الذين كانوا يتعاطفون معهم. وكانت تقام مناظرات بين الشيعة والمالكية، وينتصر المالكيون انتصارا باهرا بالحجة والدليل.

سجل الحشني مناظرات عديدة دارت بين المالكيين والشيعة حول أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي وأبنائه،وكان أهل السنة يتفوقون حقا ويتعرضون لأنواع التنكيل.

وانحاز مذهب الأحناف إلى الشيعة ، وناظروا المعتزلة وتفرقوا عليهم ، إنهم كما يقول المرحوم الدكتور عمر الجيدي صبروا واحتسبوا وصمدوا ، وظلوا حاملين لواء المذهب المالكي في أصوله وفروعه دون تزعزع أو تخلف، وبصمودهم اضمحلت دولة الأغالبة.

كان حكام الأغالبة يفرضون على المالكيين وظيفة القضاء، وكانوا يمتنعون عاضين على الحق عض النواجذ، وقد أحرق ولاة الأغالبة مدونة سحنون ، وجامع بن يونس، وكتاب التهذيب للبرادعي ، وواضحة ابن حبيب.